(٤) تقارير شخصية ومحاضر نقاش

- محضر نقاش مع محمد دويدار.
- محضر نقاش مع إدوار ليفى.
- محضر نقاش مع إيلى ميزان.
- محضر نقاش مع جاكو دى كومب.
- محضر نقاش مع ريمون أجيون.
- محضر نقاش مع دينا فورتى.
- محضر نقاش مع مارسيل ميسيكوا.
- محضر نقاش مع راؤول كورييل.
- محضر نقاش مع أنور كامل.
- تقرير مارسيل إسرائيل (بدايات الحركة العمالية فى مصر).
- محضر نقاش مع فتحى الرملى.
- محضر نقاش مع أسعد حليم.
- محضر نقاس مع هنرى كورييل.
- محضر نقاش مع عبده دهب.

محضر نقاش مع محمد دويدار(*)
جلسة المناقشة الأولى (القاهرة) ١٩٧٠/١/٢٢

س: كيف انضممت إلى الحزب؟

ج: كانت نقطة التحول فى حياتى هى اطلاعى على كتابات شبلى شميل وقد اشتريت الجزأين بجنيهين. ولك أن تتصور كيف أمكن لعامل بسيط مثلى أن يدخر من مرتبه مبلغا كهذا ليشترى كتابا. وقد أثرت فىّ كتابات شميل تأثيرا كبيرا.

وكان لى أخ أصغر منى اسمه محمود دويدار كان يعمل صانع أحذية فى محل بالإسكندرية يمتلكه أخو الشيخ صفوان أبو الفتح. وكنت بطبيعة عملى فى السكة الحديد أكثر من التردد على أخى بالإسكندرية. وتعرفت هناك على الشيخ صفوان أبو الفتح. وكانت هذه نقطة التحول الثانية فى حياتى. فقد نظم لى الأفكار والخواطر التى كانت تموج بها نفسى وشرح لى كثيرا من مبادئ الاشتراكية وأفكارها لكنه لم يضمنى للحزب.

وفى سنة ١٩٢٧ كنت أعمل فى طنطا وكان لى زميل اسمه أحمد عبدالعزيز كان هو أيضا عطشجى بالسكة الحديد. وفى أحد زياراتى له أطلعنى على خطابات وصلته من أخيه محمد عبدالعزيز الذى كان فى موسكو فى ذلك الحين وبهرنى وصفه للحياة فى

الاتحاد السوفييتى وقد دفعنى هذا إلى توطيد علاقاتى بأحمد عبدالعزيز حتى أطلع على المزيد من المعلومات عن الاتحاد السوفييتى.

ثم عاد محمد عبد العزيز من موسكو وسعيت إلى التعرف عليه وفى أول مناقشة سألنى محمد عبد العزيز عن انتمائى الحزبى فقلت له إننى أميل إلى الحزب الوطنى لأنه يهتم بشؤون العمال لكننى لا أعمل معهم.. وبعد عدة مقابلات ضمنى محمد عبد العزيز إلى أحد خلايا الحزب فى طنطا.

س: هل يمكن أن تشرح لى أسلوب عملكم الحزبى فى عام ١٩٢٧؟

ج: كان التنظيم سرى، لكننى كنت أعرف أن هناك خلايا فى القاهرة والإسكندرية وطنطا وفى أماكن أخرى. وكان شعبان حافظ يتصل بنا فى طنطا أحيانا، وفى أحيان أخرى كنت أسافر أنا إلى القاهرة لأقابل محمد عبد العزيز.

واتسع نشاطنا فى طنطا فأنا مثلا جندت عدداً من العمال من بينهم اثنان سافرا إلى جامعة كادحى الشرق بموسكو هما عبد العزيز مرعى (براد فى السكة الحديد) والثانى اسمه عبد المجيد (لا أذكر بقية اسمه) وكان أيضا عاملا فى السكة الحديد. وكانت الخلايا تدرس الماركسية وتدور مناقشات عديدة حول الأوضاع فى الاتحاد السوفييتى.

س: كيف سافرت إلى الاتحاد السوفيتى؟

ج: كانت لى رغبة جارفة إلى مزيد من المعرفة عن الماركسية وعن الاتحاد السوفييتى وفى أحد الاجتماعات تحدثت إلى محمد عبد العزيز حول رغبتى فى السفر للتدريب فى الاتحاد السوفييتى فوافق على الفور وطلب أن أستخرج جواز سفر. وهكذا قررت أن أترك أسرتى وعملى (١١ سنة خدمة فى السكة الحديد) وسافرت.

س: كيف تمت ترتيبات السفر حتى وصلت للاتحاد السوفييتى؟

ج: سافرت أولا إلى فلسطين ثم إلى الاتحاد السوفييتى.

س:لم تعد هناك حاجة إلى اختزان مثل هذه الأسرار فهل يمكن أن تحكى لى تفصيلات كيف سافرت من القاهرة إلى الاتحاد السوفييتى؟

ج: سافرت إلى فلسطين حيث كان معى عنوان أرسلت عليه خطابا أعلن فيه وصولى، وبعد أسبوعين حضر إلى شخص ونقلنى إلى منزل فى يافا وتسلم منى جواز السفر الخاص بى واستخرج لى فيزات السفر إلى سوريا ثم لبنان ثم تركيا للتغطية.

وبعد ذلك وصلت إلى يافا مركب سوفييتية فقطعوا لى تذكرة عليها على أساس أنى مسافر إلى إستانبول.. ثم سلمت رسالة خاصة إلى مسؤول السفينة فنقلنى إلى مكان سرى فى السفينة وشطب اسمى من سجل المسافرين لأن السفينة كانت ستمر ببورسعيد والإسكندرية فى طريقها إلى إستانبول وكان البوليس المصرى يفتش المراكب السوفييتية تفتيشا دقيقا وعندما وصلنا إلى الإسكندرية ألبسونى ملابس أحد البحارة ثم اختبأت فى عنبر البضائع حتى غادرت السفينة الميناء.

وأخيرا وصلت إلى أوديسا حيث بقيت أسبوعين ومن هناك إلى موسكو حيث انضممت إلى «جامعة ستالين الشيوعية لكادحى الشرق».

س: لن ادخل فى تفاصيل حياتك بالجامعة لكن ما هى انطباعاتك العامة؟

ج: الانطباع العام هو أن المجموعة العربية كانت محط اهتمام العناصر اليهودية الأصل، وكان المصريون أقلية (حوالى ١٢ شخصا) وكان هناك حوالى ٣٠ فلسطينيا وآخرين من الجزائر ومراكش والعراق وسوريا لكن هؤلاء كانت غالبيتهم من اليهود.. والمصريين فقط هم الذين لم يكن بينهم يهود.

وكان معظم موظفى القسم الإداريين والمترجمين من اليهود العرب أيضا.. وكانت لنا نحن المصريين وجهة نظر فى ذلك، وأعلنا أن هذا التكوين لا يتلاءم مع طبيعة ظروف البلدان العربية، وكذلك كنا نحن المصريين حريصين على أن نتعلم اللغة الروسية بسرعة فأدركنا أن المترجمين لا يعرفون اللغة العربية معرفة جيدة وأنهم يترجمون ترجمة رديئة.

وباختصار دخلنا نحن المصريين صراعا ورفعنا شعار «أربيزاتسيا» أى التعريب لكننا هوجمنا بشدة بل ونظمت لنا محاكمة فى الجامعة بحجة أننا شوفينيون وأعداء للسامية وللأسف فإن العناصر العربية الأخرى برغم ثوريتها إلا أنها انجرفت فى التيار وشاركت الآخرين فى حملة الهجوم على العناصر المصرية الأمر الذى أدى إلى عزلنا وإلى هزيمتنا فى معركة التعريب.

(*) ولد فى مارس ١٩٠١ وعمل عطشجيا فى السكة الحديد.. انضم للحزب عام ١٩٢٧ سافر إلى موسكو طالبا فى مدرسة كادحى الشرق أسقطت عنه الجنسية المصرية – عاد إلى مصر متسللا عام ١٩٣٧ حيث واصل نشاطه فى صفوف الحزب – يعمل حاليا موظفا كتابيا فى النقابة العامة لأعمال الخدمات والإدارة (١٩٧٠) وذاكرته قوية إلى حد يثير الدهشة وأفكاره مرتبة تماما الأمر الذى يوحى بكثير من الثقة فى المعلومات التى أدلى بها.

محمد دويدار
جلسة المناقشة الثانية- (القاهرة) ١٧-٣-١٩٧٠

س: اتفقنا فى المرة السابقة على أن نعيد مناقشة ما سبق طرحه من موضوعات بعد أن تكون قد رتبت أفكارك حولها.. والآن اسمح لى أن أعود إلى نفس الأسئلة السابقة.. كيف انضممت للحزب؟

ج: بالإضافة إلى المعلومات التى أدليت بها فى الجلسة السابقة أذكر أننى جندت فى طنطا وكنت عضوا فى خلية عدد أعضائها خمسة، ولم أكن أعرفهم فقد كانت السرية مطلقة وكنا نستخدم أسماء حركية. وأحيانا كنت أستدعى لحضور اجتماعات فى القاهرة وأذكر أننى دعيت إلى اجتماع فى منزل بشارع كلوت بك حضره محمد عبد العزيز وثلاثة من عمال العنابر لمناقشة المشاكل العمالية. وكانت معظم الموضوعات الدراسية تتركز حول حالة العمال واستغلال الرأسماليين لهم. وكنا باستمرار نربط بين الرأسمالية والاستعمار.

س: هل يمكن أن تحكى لى تفصيلات عن فترة دراستك بجامعة كادحى الشرق؟

ج: كان هناك ١٢ مصريًا أذكر منهم حمدى سلام - عبد الرحمن فضل (وكان اسمه السرى هناك نميروف) والدكتور حسونة- شعبان حافظ- عبد العزيز مرعى (وكان اسمه السرى هناك سيرجيفتش) ذلك أننا كنا نتخذ هناك أسماء سرية.

وكان بالجامعة طلبة من جميع الشعوب الشرقية أتراك وفرس، وعرب وآخرين من مدغشقر وكان عددهم حوالى ٤٠٠٠ طالب.

وكان المسؤول عن القسم العربى يهوديًا من أصل روسى هو أبو زيام واسمه الحركى (حيدر) وكانت له سلطات مطلقة وكان هناك أيضا مسؤول آخر هو جوزيف برجر. وقد عمل برجر على أن يدخل إلى الجامعة ٤ من اليهود ليعملوا كمشرفين على القسم العربى وكانوا عناصر تافهة وضعيفة ويضفون حول أنفسهم هالات من القدسية والزعامة لا يستحقونها.

وبعد أن ثارت مشكلة التعريب أحضروا من فلسطين أعداد كبيرة من العرب كثيرون منهم عناصر تافهة وغير متعلمة وإن كان هناك عناصر جيدة ولا زلت أذكر بعض الأسماء عبد الغنى الكرمى (مايخت) نجاتى صدقى (مصطفى) وأخوه.. (وكان يتسمى حركيا باسمى شاؤول) محمود الأطرش (مراد).

وكان المشرفون اليهود يقومون بتقييم الطلبة وكثيرا ما كانوا يقللون من شأننا. والحقيقة أننى لا أستطيع أن أتهم جميع اليهود لكننى أكاد أوقن أن بعضهم كان عميلا صهيونيا بينما كان هناك يهود مخلصون وقد دافعوا عنا وتبنوا أفكارنا وساندونا واضطهدوا معنا.

س: تقول إنكم اضطهدتم.. هل يمكن أن تحكى بعض التفاصيل؟

ج: الحقيقة أن العمال المصريين الذين وصلوا إلى الجامعة كانوا يثيرون كثيرا من النقاش والجدل ويكثرون من الإدلاء بآرائهم. ولا بد أن تعرف أن المستوى الثقافى للعامل المصرى الذى شارك فى ثورة ١٩١٩ والذى شارك فى النضال السياسى والنقابى لسنوات طويلة كان أعلى بكثير من مستوى الطلبة العرب الآخرين.

فأنا مثلا قلت لك إننى كنت قد درست كتابى شبلى شميل قبل انضمامى للحزب والحقيقة أننى من فرط إعجابى بشميل حفظت كتاباته عن ظهر قلب وهكذا أمكننى المشاركة فى النقاش أثناء المحاضرات متحدثا عن نظرية التطور وعن قوانين الجدل والديالكتيك وعن الثورة الفرنسية وأخطائها وعن الجذور الطبقية للاستعمار.. ويبدو أن هذا كان كثيرا بالنسبة لعامل عربى فى نظر المشرفين على القسم وكانوا هم لتفاهتهم يضيقون بأى نقاش حقيقى فاتهمونى بأننى لست بروليتاريا خاصة وأن خطى كان ممتازا

لأننى عملت خطاطا لفترة وأنا صغير وكنت أكتب اللافتات العربية فى احتفالات الجامعة بخط جميل. وفى أحد المرات قال لى أحد المشرفين أنت مدسوس على البروليتاريا، لم أر بروليتاريا عربيا يتكلم هكذا أو يكتب خطا كهذا.

ولكى تتصور مستوى الطلبة العرب الآخرين يجب أن تعرف أنه كان هناك فصل تحضيرى قبل بدء الدراسة وفى هذا الفصل الذى انضممت إليه فور التحاقى بالجامعة فوجئت أنهم يدرسون مبادئ القراءة والكتابة العربية ومبادئ الحساب.. وكنت أنا مثلا قد بدأت فعلا فى دراسة اللغة الروسية.

وباختصار فإننى **أعتقد أن ثمة عناصر كانت تتعمد اختيار الطلبة العرب من مستويات فكرية وثقافية متخلفة**، وكانت تضطهد كل عنصر متفتح. والاضطهاد لم يكن منصبا على المصريين وحدهم وإنما على كل عربى متفتح بل وعلى اليهود المخلصين أيضا.

وفى أحد المرات وبعد أن ركزوا هجومهم ضدى على أساس أننى لست بروليتاريا قرروا إبعادى على الجامعة لمدة عام كى أعمل فى أحد المصانع حتى أخالط العمال وأتخلق بأخلاقهم ناسين أننى بروليتارى ابن بروليتارى.

س: هل يمكن أن تحدثنى عن نظام الدراسة فى الجامعة؟

ج: قلت إن هناك سنة تحضيرية اجتزناها نحن المصريين فورا ثم هناك بعد ذلك خمس سنوات دراسية. وأود أن ألفت نظرك إلى أن الجامعة كانت مقسمة إلى أقسام مختلفة حسب الجنسيات وأنا أتحدث عن القسم العربى فقط ولا أعرف نظام ولا ظروف الأقسام الأخرى.

وكنا ندرس فى هذا القسم جغرافيا طبيعية- جغرافيا اقتصادية- جغرافيا سياسية- تاريخ الحزب البلشفى- الاقتصاد السياسى- الحركة النقابية ومهام النقابات وأسلوبها فى العمل- أخطار التروتسكية. وفى السنة الأخيرة درسنا الفلسفة الماركسية وأسس المادية الجدلية- وتحليلات للوضع فى العالم العربى- ونظرية النشوء والارتقاء.

وكان للجامعة بيت خاص لإقامة الطلاب وكل طالب كان يتقاضى ٥٠ روبل فى الشهر.

وكان أسلوب الامتحانات جيد فقبل الامتحان يعرض على الطلاب عشرون سؤالا تشمل المقرر كله وتترك لنا فرصة مراجعة دروسنا على أساس الإجابة على هذه الأسئلة. ثم بعد ذلك تكتب هذه الأسئلة فى أوراق منفصلة فى كل ورقة سؤال واحد ثم تطوى الأوراق وكل شخص يختار ورقة ليجيب على السؤال المكتوب فيها.

س: نعود إلى معركتكم من أجل «التعريب» أو كما قلت «أربيزاتسيا» ألم يشارككم الطلاب العرب الآخرون فى هذه المعركة؟

ج: الحقيقة أن بعضهم شاركنا لكن الكثيرين كانوا يفضلون السكوت بدعوى الانضباط الحزبى، وأذكر أننى مثلا أقمت علاقة وثيقة مع «شاؤول» (الاسم السرى لأخو نجاتى صدقى ولا أذكر اسمه الحقيقى) وكان «شاؤول» هذا عضو فى اللجنة المركزية للحزب الفلسطينى وقد حكى لى كثيرا عن اضطهاد الكوادر العربية فى الحزب وكيف أن هناك عناصر كانت تقاوم التعريب مقاومة عنيفة، وطلبت منه أن يكتب تقريرا بذلك وبالفعل كتب لى تقريرا احتفظت به معى.

وبعد أن تعالت صيحاتنا بالتعريب فوجئنا بأبو زيام يحضر اجتماعا عاما بنفسه هو وعدد من قادة القسم العربى وعدد من مندوبى قيادة الجامعة لبحث ما أسموه بالطاهرة الخطيرة والتى تنادى بشعارات شوفينية. وكان واضحا أن هذا الاجتماع هو نوع من المحاكمة للمجموعة المصرية.. ولم نتراجع أمام هجمات أبو زيام الذى تحدث حديثا عنيفا ضد معاداة السامية والشوفينية وطلبت الكلمة ونفيت عن أنفسنا تهمة معاداة السامية وقلت إننا نحن المصريين ساميين نحن أيضا وتحدثنا عن التعريب كقضية ضرورية لتعبئة الجماهير العربية فى المعركة ضد الاستعمار.

وتحدث عدد من المصريين أذكر منهم عبد الرحمن فضل وعبد العزيز مرعى وقد أوضحنا وجهات نظرنا بشجاعة ووضوح أذهل الحاضرين.

وكنت فى حديثى قد أشرت إلى بعض المعلومات التى ضمنها «شاؤول» فى تقريره.. حول اضطهاد الكوادر العربية فى الحزب الفلسطينى. وبناء على إيماءة من رأس أبو زيام وقف شاؤول ليكذبنى لكننى فاجأت الحاضرين جميعا بأن أبرزت التقرير المكتوب بخطه والذى يتضمن كل ما أشرت إليه من وقائع. وأنهى أبو زيام الاجتماع الذى ترتب عليه فيما بعد أن كتب ضدى تقريره بأننى بورجوازى صغير ومثقف ولست عاملا. ونجحوا بناء على هذا التقرير فى إبعادى عن الجامعة لمدة عام أنا وعبد العزيز مرعى حتى نعمل فى أحد المصانع لنتخلق بالأخلاق البروليتارية.

لكنهم تركونى فى المصنع ثلاث سنوات ونصف ولم أعد إلى الجامعة إلا بعد إلحاح شديد، والحقيقة أنهم لم يستطيعوا التنكيل بى كما أرادوا لأننى كنت أنا وعبد العزيز

مرعى الوحيدين بين الطلبة العرب الذين تشرفنا بالحصول على عضوية الحزب البلشفى.

لكنهم تعمدوا إرسالنا إلى مصنع يبعد أكثر من ٢٠٠ كيلو متر عن موسكو حتى يبعدونا عن الطلبة العرب وبفضل علاقاتنا بالحزب البلشفى نجحنا فى الحصول على عمل فى موسكو ونجحنا فى الإقامة فى بيت الطلبة.

وقبل أن أنهى حديثى فى هذه النقطة أود أن أشيد بمجموعة من الرفاق الفلسطينيين الواعين والمخلصين الذين شاركونا حملتنا من أجل التعريب وكان على رأسهم رفيق يهودى مخلص جدا ومناضل ثورى اسمه «الرفيق سبوتن» وقد اضطهد مثلنا وطرد من الجامعة طردا وانتهى الأمر أن عمل مدرسا للغة العربية فى جامعة الدراسات الشرقية.

محمد دويدار
جلسة المناقشة الثالثة- (القاهرة) - ١٩٧٠/٣/١٨

س: الآن أستطيع أن أسألك كيف عدت إلى مصر..؟

ج: الحقيقة أن العناصر المعادية التى أشرت إليها فيما سبق كانت تضع العقبات أمام عودة الكوادر العربية إلى بلادها وذلك حتى تتاح لهم الفرصة هم وأعوانهم.. والذى يصمم على العودة كانت تسد فى وجهه الطرق بحيث يدمر وهو فى طريق عودته. فمثلا محمود حسنى العرابى كان فى موسكو عندما تقرر إبعاده من سكرتارية الحزب وتعيين الجاسوس الخائن محمد عبد العزيز بدلا منه وطلب العرابى أن يعود إلى مصر ليواصل العمل كعضو عادى فى الحزب فسلموه تذكرة سفر بالدرجة الثالثة بالقطار إلى برلين ولم يعطوه أى نقود وقالوا إنه سيجد التعليمات بالمساعدة عند الحزب الألمانى. ووصل إلى برلين ليجد أن الحزب الألمانى لم تصله أية تعليمات ورفض الحزب تقديم أى معونة له وهكذا وضع فى مصيدة فى برلين. واضطر إلى ارتكاب أخطاء.

وأنا لا أدافع عن حسنى العرابى لكننى أقول إن بعض الناس دمروا بهذه الطريقة.

وأنا نفسى تعرضت لنفس الأسلوب.

المهم أنه صدرت لى تعليمات بأن أركب السفينة المتجهة إلى بلجيكا عبر بحر البلطيق على وعد بأن يقابلنى شخص فى ميناء «جيليت» البلجيكى لسلمنى باسبور ونقود وبعدها

أسافر إلى باريس حيث سيتولى الحزب تنظيم عودتى إلى القاهرة لكننى وصلت إلى «جيليت» ولم أجد أحدا فى انتظار.

وصممت على أن أواصل الرحلة وفعلا وبعد مغامرات خطيرة وصلت إلى باريس دون نقود ودون جواز سفر.. وبعد مجهود كبير وصلت إلى مقر الحزب الشيوعى الفرنسى فى شارع «لافييت» لكنه كان مغلقا فاليوم يوم أحد وقضيت طوال اليوم والليل فى الطريق وفى اليوم التالى قصدت مقر الحزب وقابلت السيدة جان وبعد مناقشة طويلة أبلغتنى أنه ليس لديها أية معلومات عن موضوعى. وعلى أية حال فقد ساعدونى على الإقامة فى أوتيل وأعطونى بعض النقود وقمت بالاشتراك فى تحرير مجلة «الشرق العربى» وهى مجلة كان يصدرها الحزب الفرنسى باللغة العربية. وأقمت فى باريس أربعة أشهر وبعدها أبلغتنى السيدة جان أن أسافر إلى مارسيليا حيث سيتصل بى شخص معين هناك. وفى مارسيليا قضيت أربعين يوما دون أن يتصل بى هذا الشخص الذى علمت أنه كان موجودا فى باريس وأرسلت خطابا مليئا بالشتائم والهجوم إلى جان واتهمتها أنها تتآمر ضدى وتمنعنى من العودة إلى بلدى وألمحت إلى أنها (وهى من أصل يهودى) جزء من مؤامرة صهيونية ضد العرب.

واستدعتنى جان إلى باريس فوصلت لأجد جان تعاملنى بجفاف شديد وسلمتنى باسبوراً لأسافر به إلى حيفا ومنها إلى بيروت حيث طلب منى أن أتصل بفؤاد الشمالى وكلفت بأن أعمل لبعض الوقت مع الحزب الشيوعى اللبنانى.

لكننى وجدت أن الباسبور كان فى ذاته كافيا لكشفى وتسليمى للبوليس فهو باسم شخص يهودى أجنبى «جوزيف مزراحى» وأنا لا يبدو على وجهى أى سمات أجنبية وسن صاحب الباسبور ٢٤ سنة وأنا سنى ٣٣ سنة والأخطر من ذلك كله أنهم قطعوا لى تذكرة تسافر على خط مارسيليا- الإسكندرية- حيفا أى أنه كان من الضرورى أن أمر على الإسكندرية.

وفى ميناء الإسكندرية كانت عمليات تفتيش السفن تتم بحرص شديد لمنع أى شيوعى من النزول وقبض البوليس على بالفعل وبعد التحقيق معى وتصويرى سلمت مع الجواز المزور إلى القبطان وفى حيفا كان البوليس فى انتظارى ولدهشتى وجدت هناك ضابط بوليس مصرى برتبة لواء اسمه حليم بساط ويبدو أن الإنجليز كانوا يقيمون نوعا من

التنسيق بين أجهزة الأمن فى المنطقة كلها. وبعد تحقيقات طويلة أبلغت أنى ممنوع من الدخول وأنى سأعود مرة أخرى على نفس المركب.. وهكذا عدت من جديد إلى مارسيليا وفى مارسيليا وبناء على نصيحة من اثنين من الشيوعيين المصريين الأرمن وكانا يقيمان هناك بعد أن قام البوليس بإبعادهما عن مصر عدت مرة أخرى إلى باريس لأقابل جان التى طردتنى من مقر الحزب بحجة أننى لم أنفذ التعليمات ولم أسافر وأننى أخشى من السفر وبعد مجهود كبير وبعد لجوئى إلى هيئة m.o.p.r وهى الهيئة الدولية للمعرفة الحمراء عادت جان من جديد واتصلت بى وأعطتنى باسبوراً باسم تاجر مصرى من سوهاج سنة ٣٦ وكان إلى بيروت. وعلى الحدود السورية جمع رجال البوليس الباسبورتات وبعد فحصها أبلغونى أن لديهم صورتى وأوامر بمنعى من دخول سوريا وأعدت مرة أخرى إلى الحدود التركية. وفى إستانبول قبض على وحكم القاضى بإبعادى إلى الحدود السورية إما بالقطار على أن أسدد ثمن تذكرة السفر وتذكرتين لسفر جنديين لحراستى وتذكرتين لعودتهما وإما سيرا على الأقدام، ولما كنت مفلسا تماما تقرر إبعادى سيرا على الأقدام. جنديان يركب كل منهما حصانا وأنا أسير فى المقدمة مربوط بحبل واستغرقت رحلة العذاب أربعة أشهر كاملة فى كل قرية نتوقف ويسلمنى الجنديان إلى البوليس المحلى الذى يقوم بإيداعى الحبس حتى يرتب لى حرسا جديدا وقد تعذبت فى هذه الرحلة عذابا يفوق الوصف وتعرضت لأهوال شديدة*.

وأخيرا وصلت إلى الحدود السورية وأمرنى الحراس الأتراك بالعبور. وعبرت الحدود خلسة بعد أن تغافل عنى متعمدا ضابط الحدود السورى الذى عرف قصة إبعادى سيرا على الأقدام ورثى لحالى وسرت متجها إلى الإسكندرية وعلى طول الشاطئ ست ساعات وكان معى أربع ليرات تركية هى باقى ثمن البالطو الذى بعته لأحد الأتراك.. وركبت الأتوبيس حتى حلب.

وقررت أن أبقى فى حلب لأعمل وأكسب بعض المال وأشترى ملابس لائقة أقابل بها الرفاق اللبنانيين حتى أقابلهم بمظهر بروليتارى مشرف واشتغلت فى حلب عامل بناء وكنت أنام فى حمام يملكه شخص مصرى وأدخر كل قرش أحصل عليه وبعد ٢٥ يوما اشتريت بعض الملابس وسافرت إلى بيروت، وكان كل ما أعرفه هو أنه يتعين على تسليم نفسى لفؤاد الشمالى لكننى وبعد هذه الرحلة كنت قد فقدت عنوانه فقررت أن أعمل حتى أعثر عليه.

اشتغلت فى الميناء عامل فحم مستعينا فى ذلك بخبرتى كعطشجى فى السكة الحديد وكنت أنام فى قهوة يملكها شخص مصرى اسمه الريس يونس.. وأخيرا عثرت على فؤاد الشمالى الذى أبلغنى أنه فصل من الحزب لكنه مكننى من الاتصال بأحد أعضاء اللجنة المركزية.

وأسند إلى الحزب مسؤولية المطبعة وإصدار المنشورات. واستمر العمل ثلاثة أشهر حتى قبض على وأعتقد أن فؤادى الشمالى هو الذى أبلغ عنى لأنه كان فى هذا الوقت متعاونا مع البوليس.

لم يكن أمامى مجال للإنكار فقد ضبطت معى المطبعة والمنشورات فقررت أمام المحقق أن اسمى محمد دويدار وأنى شيوعى مصرى ممنوع من العود إلى بلاده بسبب إسقاط الجنسية عنى وأنه ليس لدى باسبور وأننى أناضل فى صفوف الحزب الشيوعى الشقيق واعترفت بأننى كتبت وطبعت المنشورات المضبوطة وقدمت إلى المحاكمة ووجهت لى تهمة دخول البلاد بدون إذن والعمل ضد الأمن العام.

كانت الجلسة سرية لكن هناك عدد كبير من المحامين والصحفيين ووقف ممثل الادعاء وهو فرنسى ليطالب بالحكم على بالسجن وطلبت أن أدافع عن نفسى وألقيت دفاعا سياسيا طويلا قلت فيه إن المدعى وهو أجنبى فرنسى مستعمر يتهمنى أنا العربى بأننى دخلت هذه البلاد بدون إذن وكأنما هو قد استأذن بالدخول، إن جريمتى هى أننى دخلت هذه البلاد الشقيقة بدون باسبور بينما جريمته هو أنه اغتصب هذه البلاد بحد السلاح.

وحكم على بستة أشهر حبس. وقد رحلت إلى سجن طرابلس ثم إلى سجن زغرتا وبعد الإفراج عنى احتلت وهربت من البوليس حتى لا ينفذ حكم الإبعاد واتصلت برفيق أرمنى اسمه أرتين مادويان الذى أجرى تحقيقا معى فى ظروف القبض على وأصدر قرارا بأننى قد أهملت فى إجراءات الأمان وتقرر معاقبتى بإبعادى عن كنف الحزب لمدة ستة أشهر.

وبعد ذلك طلب إلى أن أسافر إلى فلسطين لأعمل فى صفوف الحزب الفلسطينى على أساس أننى كشفت للبوليس فى لبنان. وفى فلسطين عملت أيضا فى مطبعة الحزب وعندما اشتعلت ثورة ١٩٣٦ شاركت فى تنظيم الاجتماعات الجماهيرية وفى تهريب الأسلحة وأصبحت معروفا خلال أحداث الثورة وخاصة بعد أن خطبت كثيرا فى المظاهرات وصار الجميع يعرفوننى باسم محمد المصرى.

وقبض على ثلاث مرات وتقرر إبعادى لكننى فى كل مرة كنت أهرب من الحراس عند الحدود وأعود.

وفى آخر مرة كنت فى مزرعة تابعة لحكومة عموم فلسطين فى مجدل عسقلان وكان ناظرها الرفيق طاهر القبج وقبض على وتقرر إبعادى. وفى هذه المرة سألت نفسى لماذا لا أعود إلى مصر. وكنت أشعر بحنينى الجارف لمصر للنضال على أرضها، وتسللت إلى العريش واستخدمت مرة أخرى مهنتى كعطشجى فى السكة الحديد للاختباء فوق سطح القطار وهو يجرى بأقصى سرعته وأخيرا وصلت إلى القنطرة شرق.. ووصلت إلى داخل مصر ولم تعد أية قوة تستطيع إبعادى عنها.. وكان ذلك عام ١٩٣٨.

س: ماذا فعلت بعد وصولك..؟

ج: اتصلت بالدكتور حسونة بالإسكندرية الذى أبلغنى أن هناك خلايا حزبية وأن خلية الإسكندرية قررت استضافتى لعدة أشهر للاستجمام والراحة بعد هذه الفترة الصعبة.. وفعلا أقمت فى بيت بجليم يملكة الرفيق محمد عمر (عمروف)..

وانضممت إلى مجموعة الإسكندرية وكانت تضم د. حسونة- عبد الرحمن فضل- محمد عمر (عمروف) الشيخ صفوان أبو الفتح.

وبعد ذلك انتقل عبد الرحمن فضل إلى القاهرة وقررت أنا أيضا أن أذهب للقاهرة لأبحث عن عمل، وفى القاهرة انضممت إلى المجموعة الحزبية فيها وكانت تضم شعبان حافظ- وعبد الفتاح القاضى- وعبد الرحمن فضل وآخرين.

وبعد ذلك اتصلنا جميعا بهنرى كورييل وانضممنا إلى تنظيمه وسافرت للعمل فى معسكرات الإنجليز بالقصاصين وهناك اتصلت بإحدى مجموعات التنظيم.

لكن الإنجليز ما لبثوا أن طردونى وأبعدت من القصاصين. فعملت فى شركة جونسون ريك آند بير وكانت تقيم قاعدة للأمريكان فى هايسكتب ثم عملت بمصنع كيماوى بالمطرية.

انتهى النقاش

(*) روى لى محمد دويدار تفاصيل كثيرة عن هذه الرحلة لكنها لا تتعلق بهذه الدراسة كموضوع علمى فهى أقرب إلى القصص الدرامى العنيف، وربما اتيحت لى الفرصة يوما لتقديمها لأحد الأدباء ليخلق منها عاملا دراميًا أعتقد أنه سيصبح جزءا متمما لجانب العلمى فى هذه الدراسة- المؤلف.

محضر نقاش مع إدوارد ليفى(*)
تمت المناقشة فى باريس فى أوائل نوفمبر ١٩٦٨

س: ما هى معلوماتك عن نشاط الحركة اليسارية فى الثلاثينيات؟

ج: فى حوالى ١٩٢٥ تأسست فى القاهرة والإسكندرية جمعية ثقافية اسمها essaay-istes وهى جمعية ثقافية ليس لها فى الواقع نشاط سياسى ولا علاقة لها بالتيارات ولا الخلافات السياسية وكان نشاطها منحصرا فى المحاضرات الثقافية وإقامة معارض وحفلات موسيقية وكان أعضاؤها أساسا يونانيين، يهود، شوام، وقليل من المصريين الأقباط وقليل جدا من المصريين المسلمين.

وكانت هذه الجمعية تصدر مجلة اسمها leffort (المجهود).

وفى داخل الجمعية بدأ يتجمع تيار يسارى، وأنا أذكر مثلا أن مجلة هذه الجمعية كانت تنشر مقالات عن الماركسية..

ومن داخل هذه الجمعية وتيارها اليسارى ظهرت فيما بعد شخصيات لعبت دورا فى تأسيس الاتحاد الديمقراطى والمنظمات التروتسكية والشيوعية.. وأذكر مثلا جورج حنين.

س: هل كانت هناك أية تجمعات أخرى؟

ج: مثلا كانت هناك مجلة يسارية أصدرها أخى زكى ليفى اسمها leberte (الحرية)..

وكان يرأس تحريرها شخص يسارى اسمه ليون كاسترو وهو محام شهير كان صديقا شخصيا لسعد زغلول.. وقد ظهر ليون كاسترو بعد ذلك ككادر يسارى يلعب دورا هاما فى اتحاد أنصار السلام عام ١٩٣٧ ويؤسس لجنة مكافحة العداء للسامية[١] وكان يعمل فى هذه الجريدة أيضا روبير بلوم وكانت مقالاته ذات اتجاه يسارى واضح وأذكر أنه كان يشير دائما فى هذه المقالات إلى «الأومانتيه» جريدة الحزب الشيوعى الفرنسى.

س: يفهم من كلامك أنه كانت هناك اتجاهات يسارية متفرقة وسط الأجانب وأود أن أعرف هل كانت لهذه المجموعات علاقة بالمصريين؟

ج: الحقيقة أن غالبيتنا كانت لا تعرف اللغة العربية.. وكان ذلك يمثل عقبة مهمة فى الالتقاء بالمصريين وفى البداية كانت المجموعات أجنبية أو شبه أجنبية ولم تكن لها علاقة بالصراعات السياسية فى مصر وذلك طبعا باستثناء مجلة «ليبرتيه» التى كانت تؤيد الوفد وكانت تبدو كمحاولة من الوفد لعمل تيار يؤيده وسط الأجانب.. لكن بعد أن أسس جاكو دى كومب لجنة السلام أمكن لهذا التيار اليسارى الأجنبى أن يلتفى بالمصريين. فقد انضم إلى لجنة السلام هذه عدد من المصريين منهم شخصيات معروفة مثل هدى شعراوى، عبد الفتاح الطويل وغيرهما. وهذه الحركات كانت جزءا من حركة عالمية اسمها التجمع العالمى من أجل السلام..

وكان لهذه الجمعية نشاط جماهيرى ففى عام ١٩٣٥ عند نشوب حرب الحبشة عقدت الجمعية اجتماعا كبيرا لإدانة العدوان الإيطالى وقد حضرت هذا الاجتماع وأذكر أن الذين تحدثوا فيه هم عزيز أنطون، عبد الفتاح الطويل، ريمون كاسترو (ابن ليون كاسترو) وقد نشطت هذه اللجنة كثيرا فى الدفاع عن الحبشة والدفاع عن شعب الصين ضد الهجوم اليابانى وتأييد الجمهوريين فى إسبانيا.. وعموما فإن نشاطها كان مركزا ضد الفاشية والعنصرية والحرب..

وكانت الجمعية تصدر نشرة بالعربية والفرنسية..

وقد عقدت الجمعية اجتماعا جماهيريا آخر فى الإسكندرية تحدث فيه محام اسمه عبد الخالق العزونى وباختصار فإن هذه الجمعية قد نجحت فى أن تقيم علاقات جيدة وقانونية بين اليسار الأجنبى وبين المصريين.

س: هل اتصلت بأعضاء الحزب الشيوعى القديم؟

ج: التقينا مثلا بالشيخ صفوان وهو أحد قادة الحزب وكان يحضر اجتماعات جماعة السلام.

س: كيف اتصلتم به؟

ج: الذى بدأ الاتصال به أخى زكى ليفى فقد كان يجيد العربية ومن هنا كان هو مفتاح علاقاتنا بالمصريين وزكى ليفى كان فيما بعد عضوا فى (ح. م) (الحركة المصرية للتحرر الوطنى).

س: عندما اتصلتم بصفوان هل حاولتم تشكيل تنظيم؟

ج: لا.. لكن اكتفينا بالمناقشات وعقد اجتماعات للتشاور والدراسة.. لكن لم يصل عملنا إلى مستوى التنظيم بالمعنى المفهوم.

س: ممن كانت تتكون لجنة السلام؟

ج: فى الأساس عناصر يهودية ويونانية وكان هناك أيضا إنجليز كثيرون ولهذا أنا ترددت وخشيت من الاستمرار معهم.. لقد خشيت من وجود الإنجليز.

س: ما هى علاقاتكم بالصهيونية؟

ج: عندما تكونت رابطة مكافحة العداء للسامية وكان مؤسسوها من اليساريين بدأ الصدام بينهم وبين الحركة الصهيونية لأننا كنا نجند اليهود للكفاح ضد الفاشية ولم ندع إلى الهجرة لفلسطين.. كنا نرفع شعارا للإخلاص هو الكفاح ضد الفاشية أما هم شعار الخلاص عندهم الهجرة إلى فلسطين ومن هنا بدأ الصدام وكنت أنا رئيس فرع اللجنة فى الإسكندرية وإيلى ميزان (صهر بول جاكو دى كومب) سكرتير فرع اللجنة فى القاهرة.

س: هل هناك أشياء أخرى تريد ذكرها؟

ج: هناك عدة أشياء متناثرة.

- أود أن ألفت نظرك إلى أن البلد الأجنبى الوحيد الذى تنازل عن الامتيازات الممنوحة لرعاياه فى مصر هو الاتحاد السوفييتى بعد ثورة أكتوبر وقد ترك هذا أثرا كبيرا فى نفوس الكثيرين.

- سمعت عن شخص اسمه حيام شترن وكان عضوا بالحزب الشيوعى عام ١٩٢٢ وترجم مع شخص مصرى كتاب لينين «الدولة والثورة» إلى اللغة العربية ولكن الترجمة كانت رديئة جدا.. وقد غادر شترن مصر عام ١٩٣٠(**).

– تذكرت الآن اسم شخص كان يلعب دورا نشطا فى جمعية السلام هو جاك طوبى وزوجته.

– فى بداية الحرب العالمية الثانية تشجعت قليلا وقمت أنا وصفوان وسامى كانترفتش (مدرس) بتأليف كتيب من ٢٠ صفحة عن «الزراعة فى الاتحاد السوفييتى» وقد طبعنا منه ١٠٠٠ نسخة وأصدرناه بدون توقيع.

أنا لم أنس مصر حتى الآن، بل أكتب رواية عن مصر اسمها «عيناى وشمسى».

انتهى النقاش(***)

الهوامش

(*) إدوارد ليفى محام مختلط من الإسكندرية.. ولد عام ١٩٠٢ كان أحد قادة الاتجاهات اليسارية فى الثلاثينيات أصيب بالعمى على إثر اعتقاله عام ١٩٤٨.. أبعد من مصر فى ١٩٥٦ عقب العدوان الثلاثى لأنه رعية فرنسية.. يقيم فى باريس.

(١) قال إدوارد ليفى أن ليون كاسترو قد أصبح فيما بعد صهيونيا وقطع الشيوعيون علاقاتهم به.

(**) يعتقد أنه يقصد كتابا مترجما صدر باللغة العربية عام ١٩٢١- بعنوان «مذكرات لينين» تأليف- لينين رئيس الجمهورية الروسية، عربها عن الفرنساوية أحمد رفعت- شركة دار الطباعة الفنية- القاهرة.

(***) أجرى هذا الحوار هو وعدد آخر من الحوارات الصديق ألبير أرييه الذى أسهم بذلك إسهاما جادا فى إنجاز هذا الكتاب.

محضر نقاش مع إيلى ميزان(*)
تمت المناقشة فى «باريس» فى منتصف شهر نوفمبر سنة ١٩٦٨

س: ما هى معلوماتك عن التجمعات الاشتراكية فى بداية الثلاثينيات؟

ج: فى عام ١٩٣٣ وبعد وصول هتلر إلى الحكم فى ألمانيا تأسست فى مصر «رابطة مكافحة العداء للسامية» (l.i.c.a) برئاسة المحامى ليون كاسترو وكنت فى ذلك الحين طالبا فى مدرسة الليسيه فأسست فرعا لهذه اللجنة فى المدرسة وكان هذا الفرع هو فى واقع الأمر يمثل فرع الشباب لهذه اللجنة فمعظم الطلاب الأجانب كانوا متركزين فى مدرسة الليسيه.

س: ما هى الحدود التى كانت تنشط فيها رابطة مكافحة العداء للسامية؟

ج: حملات دعائية ضد النازية، مقاطعة البضائع الألمانية، ومقاطعة الأفلام والمجلات الألمانية والتى تعطف على ألمانيا.. وكانت الرابطة مكونة أساسا من اليهود وعدد قليل من الأرمن واليونانيين ولهذا كان تأثيرها قليلا وسط الشعب المصرى.

س: كيف تحولت هذه الرابطة إلى جمعية يسارية؟

ج: سير الأحداث هو الذى دفعنا، فقد بدأنا بمعاداة النازية.. ومن ثم كنا ضد غزو الحبشة وضد الملكيين فى إسبانيا وكذلك تبنينا شعار «الجبهة الشعبية» لتكون أوسع جبهة

ضد النازية والحقيقة أن تبنينا لشعار الجبهة الشعبية «كان يمثل نقطة أساسية فى موقفنا، وهكذا بدأنا كيهود يحاربون العداء للسامية ثم انتهينا شيوعيين».

ولا بد أن ذلك كان أيضا بتأثير عناصر يسارية ساهمت فى تأسيس الجمعية.

س: كيف كانت علاقاتكم بجمعية السلام؟

ج: بعد أن أصبحنا يساريين انضم بعضنا إليها، لكن جاكو دى كومب كان يقيم حواجز ضدنا فقد كان يتشكك فى كل الناس، وكان يخشى من أى نشاط حتى لا يلفت أنظار السلطات.

س: كنتم جمعية يسارية، يتزعمها شخص ذو ميول وفدية، فكيف كانت علاقاتكم بحزب الوفد؟

ج: كانت هناك علاقات بالطبع أساسها ليون كاسترو وأذكر أننا بعض الأحيان اشتركنا فى مظاهرات نظمها الوفد.

س: هل كانت لكم علاقات بالخارج أو بأية أحزاب شيوعية أجنبية؟

ج: لا أعرف، لكننى بهذه المناسبة أود أن أذكر واقعة ربما كانت تهمك، وهى أننى كان لى قريب هو «أدوارد سوريانو» كان يقيم فى الإسماعيلية.. ومات عام ١٩٣٨.

وبعد وفاته عثرت فى أوراقه على أشياء تفيد أنه كان على علاقة بالحزب الشيوعى الفرنسى وعثرت فى أوراقه أيضا على أشياء توحى أنه كان أحد مؤلفى كتاب أصدره الحزب الشيوعى الفرنسى عن مصر اسمه «الأدب والاستعمار.. مصر فى الأدب الفرنسى» والكتاب بدون توقيع لكن هناك إهداء من عدة أشخاص منهم الاسم التالى «ES» وأنا أعتقد أن هؤلاء الأشخاص هم المؤلفين وأن «ES» هو «أدوارد سوريانو».. وهذا الكتاب جيد جدا وهو دراسة ماركسية ممتازة عن موقف الأدب الأجنبى من مصر.

س: كيف تحولتم إلى العمل الشيوعى؟

ج: أنا اتصلت بالاتحاد الديمقراطى.. وهو كان تنظيم مفتوح بعكس جمعية السلام وأنا وهليل شوارتز عملنا لفترة من الوقت مع هنرى كورييل فى الاتحاد الديمقراطى.

وفى يناير ١٩٤٢ اتصل بنا «كيبريو» وهو «عديلى» وجمع عددا من أعضاء «الاتحاد الديمقراطى» وعددا من أعضاء «جمعية السلام» وأحضر لنا شخصا يونانيا ادعى أنه ممثل الكومنترن.. ودعانا هذا اليونانى إلى ضرورة العمل فورا على تكوين تنظيم شيوعى وعلى الفور قررنا البدء فى تأسيس تنظيم وكونا لجنة مركزية.

وبعد قليل اكتشفنا أن هذا اليونانى لا يمثل الكومنترن وأنه مجرد شيوعى سابق بالمجموعة اليونانية وفصل منها.. فلما واجهنا «كيبريو» اعترف وقال إنه اتخذ هذا الموقف ليحثنا على تكوين تنظيم.

س: ممن تكونت اللجنة المركزية الأولى لأسكرا؟

ج: أنا وهليل شوارتز وماكس اديريت.

س: ألم يكن فيها هنرى كورييل؟

ج: كان من المفروض ذلك ولكن شوارتز اعترض على ذلك قائلا: إن كورييل سبق اعتقاله بتهمة الشيوعية وإنه مكشوف للبوليس.. وإنه لا يتبع قواعد الأمان.

وهكذا استبعدنا كورييل من القيادة.

(*) إيلى ميزان أحد مؤسسى تنظيم «أيسكرا» وهو أخو زوجة بول جاكو دى كومب. كان يعمل موظفا فى قسم الدعاية بشركة الإعلانات الشرقية واعتقل فى عام ١٩٤٨ وطرد من مصر عام ١٩٤٩.

محضر نقاش مع بول جاكو دى كومب(*)
جلسة المناقشة الأولى
تمت المناقشة فى باريس فى أوائل نوفمبر ١٩٦٨

س: هل يمكن أن تقدم لنا موجزا لتاريخ حياتك وكيف أصبحت يساريا؟

ج: أنا من أصل سويسرى وقد ولدت فى القاهرة.. وكان أبى مهندسا مشهورا يمتلك شركة كبيرة للمصاعد وللمقاولات الكهربائية.. وقد تعلمت فى مدرسة أجنبية فى القاهرة ولم أعرف كلمة عربية فقد كان التكلم بالعربية مشينا بالنسبة للأجانب المقيمين فى مصر وفى أوائل الثلاثينيات ذهبت إلى ألمانيا لأدرس الموسيقى. وأثناء وجودى بألمانيا ارتبطت بالحزب الشيوعى الألمانى.. لكنى لم أصبح عضوا وإنما مجرد صديق لهم وكنت أشترك فى مجموعات الدعاية والإثارة التى كان الحزب ينظمها وكثيرا ما ذهبت مع الشيوعيين إلى المقاهى لنخطب ونغنى أناشيد شيوعية.

وفى عام ١٩٣٢ عدت إلى مصر كى أقيم عاما واحدا ثم أعود مرة أخرى.. وخلال هذا العام أرسلنى أبى إلى أسوان حيث كانت شركتنا تقيم مشروعا متعلقا بكهربة الخزان وكان أول اتصال حقيقى لى بالعمال والفلاحين المصريين.. ومن مخالطتى لهم بدأت أشعر أنه لا بد من كفاح منظم لإنقاذ هؤلاء الناس.. أدركت أن الاشتراكية شىء جميل لكن تطبيقه يحتاج إلى كفاح منظم..

وفى هذه الأثناء وصل هتلر إلى الحكم فقررت البقاء فى مصر.. وقررت أن أبحث عن الشيوعيين المصريين وأن أتصل بهم..

ولم أعثر إلا على مجموعة من الشيوعيين اليونانيين وكانت مجموعة نشيطة جدا ومنظمة جدا وكل أعضائها من اليونانيين، لكن كانت لها علاقات بالعمال المصريين عن طريق بعض اليونانيين الذين كانوا يعملون أسطوات ورؤساء عمال..

وظللت لفترة أعمل مع هذا التنظيم دون أن أعرف من هو قائده وبعد أن وثقوا بى سمح لى قائدهم بمقابلته وعرفت أنه ياناكاكس.

وبعد ظهور الفاشية، وبناء على توجيهات الدولية الثالثة بدأ هذا التنظيم ينظم حملة للإفراج عن الزعيم الألمانى تيلمان.

لكننى بمرور الوقت اكتشفت أننا معزولون عن الواقع المصرى وأن أساليبنا لا يمكن أن تؤدى بنا للالتقاء مع المصريين. وطالبت بسياسة جديدة وطرق جديدة تستهدف نشر الشيوعية وسط المصريين أنفسهم.. ولما رفضوا انقسمت عن هذه المجموعة وخرجت أنا وعدد من الناس بينهم «بيريدس»[1].

س: ماذا فعلتم بعد ذلك؟

ج: فكرت فى ضرورة إيجاد منبر قانونى للعمل نستطيع من خلاله الاتصال بالمصريين.. ورأيت أن الأسلوب الأفضل هو تأسيس منبر علنى معادٍ للفاشية حتى لا تعترض عليه سلطات الاحتلال.

وهكذا أسست فى القاهرة والإسكندرية «تجمع السلام» بمناسبة حرب الحبشة وقد ارتبط هذا التجمع بالتجمع العالمى من أجل السلام.. وقد عقدنا عدة اجتماعات جماهيرية تحدث فيها مصريون أذكر منهم عبد الفتاح الطويل.

س: ما هى حدود نشاط هذه الجمعية؟

ج: كانت تمارس نشاطا سياسيا وثقافيا وكنا ننظم محاضرات ومناقشات وكنا نصدر نشرة بالعربية والفرنسية.

وكانت المشكلة الأساسية التى تواجهنا هى عدم معرفة اللغة العربية ومشكلة الترجمة.. وعلى أية حال فقد كان أساس عملنا هو الحذر الشديد جدا..

والذين جندناهم كانوا أساسا يونانيين، يهودا، إنجليز، (معظمهم مدرسين).

س: هل تذكر أسماء؟

ج: أذكر بيريدس، سقراط كاليارىكوس (محام مختلط بالإسكندرية توفى فى منتصف عام ١٩٦٨)، رفائيل دويك، جاك طوبى، سامى حنوكة (أخو زوجة ريمون أجيون وهو الذى أثر كثيرا فى جماعة الحزب المصرى فيما بعد) وراؤول كوريل، يوسف درويش، جورج حنين، مارسيل إسرائيل وعدد من التروتسكيين.

س: هل يمكن أن تذكر شيئا آخر عن نشاطكم؟

ج: فى عام ١٩٣٦ نشطنا لمساندة الجمهوريين الإسبان وفكرنا فى إرسال متطوعين فى الفرقة الدولية.

وفى عام ١٩٣٨ سافرت إلى أوربا لحضور اجتماع التجمع العالمى للسلام وقابلت كريشنا مينون وأبلغنى أن نهرو يرغب فى زيارة القاهرة وفى مقابلة النحاس باشا، وعند عودتى اتصلت بعبد الفتاح الطويل وأبلغته بذلك وقد حضر نهرو فعلا ونزل ضيفا على النحاش باشا.

وقد تسببت هذه الزيارة فى مشاكل كثيرة لى، فقد هاجمنى جورج حنين وراؤول كوريل على أساس أننى مكنت نهرو من أن يقابل عناصر برجوازية وكان الأجدر أن نقابله نحن..

وقد تفاقم هذا الخلاف وأدى إلى انقسامهم وتكوينهم مجموعة مستقلة، والحقيقة أنها كانت مجموعة تروتسكية..

وأود أن أقرر الآن أن أحد أسباب الخلاف هو أنهم قد بدأوا ينشطون نشاطا واسعا وأنا خشيت أن يهدد نشاطهم كيان الجمعية وأن يكشفنا للبوليس المصرى.

س: ما هو مصير جمعية السلام هذه؟

ج: فى عام ١٩٣٢ بعد نشوب الحرب العالمية الثانية لم يكن من الممكن استمرار جمعية السلام فى العمل فتحولت إلى «مجموعة الدراسات le groupe etudes» وبدأنا فى إعداد دراسات عن الواقع المصرى والفلاحين..

وأصدرنا كتابا بالإنجليزية اسمه «مصر الآن» Egypt Now، وقد ألفه «هيلرى وايمانت» وكان الهدف هو توزيع هذا الكتاب على جنود الاحتلال الإنجليز.

وأيام الحرب كنا ننظم سلسلة من المحاضرات فى مدرسة الليسيه بالقاهرة.

س: هل كان لكم اتصال بالكومنتارن؟

ج: لا..

س: تردد كثيرا أنك كنت على اتصال بالكومنترن؟

ج: هذا غير صحيح والدليل أن جورج بوانتيه (مدرس سويسرى الجنسية) تردد على جمعية السلام وكان يستهدف تحويل الجمعية إلى تنظيم شيوعى وأفهمنى أنه على علاقة بالكومنترن وأن لديه تعليمات بتأسيس تنظيم لكننى شككت فيه ورفضت.

س: هل تعتقد أن بوانتيه كان على علاقة بالكومنترن؟

ج: أعتقد أنه كان فقط على علاقة بالحزب السويسرى.

وكانت هناك محاولة مماثلة قام بها الدكتور حسونة وكان حسونة يحضر إلى جمعية السلام بالإسكندرية وقد أبلغنى حسونة أنه على علاقة بالكومنترن.. وفى مرة علم أننى مسافر إلى أوربا فأبلغنى أنه يريد أن يرسل تقريرا إلى الكومنترن وتهربت منه لأنى كنت حذرا جدا ولأننى قلت لنفسى إذا كان متصلا بالكومنترن حقيقة لكانت له طريقته الخاصة بالاتصال بهم.

س: لماذا لم تحاول تكوين تنظيم ماركسى؟

ج: كنت أرى أن الأجانب لا يمكن أن يؤسسوا حركة شيوعية مصرية، وأن هذه المهمة يجب أن يقوم بها مصريون وأن مهمتنا هى دراسة الواقع المصرى وأن نبحث فى حذر عن مصريين قادرين على قيادة العمل ثم نترك لهم مهمة تأسيس التنظيم.

والحقيقة أن هذا هو السبب الرئيس للخلاف بينى وبين هنرى كورييل لأن كوروييل كان يرى أن على الشيوعيين الأجانب أن يؤسسوا حركة شيوعية مصرية وأن يقودوها.

(*) جاكو دى كومب أحد الشخصيات المهمة فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية، وقد تردد اسمه كثيرا وسط هالة من الغموض فقال الكثيرون إنه كان مندوب الكومنترن فى مصر.. وإنه مؤسس أحد التنظيمات الشيوعية الأساسية (د. ش) (الديمقراطية الشعبية).

(١) بيريدس.. شاعر قبرصى شهير كان يتزعم حركة الشيوعيين اليونانيين فى مصر. أبعد عن مصر عام ١٩٤٦ خلال حكم إسماعيل صدقى وقد توفى فى رومانيا حيث أقام هناك مع مجموعات المهاجرين اليونانيين.

بول جاكو دى كومب
جلسة المناقشة الثانية - ٢٦ يناير ١٩٧٠ بباريس

س: بعد المناقشة السابقة وبعد الاستماع إلى كوريل وآخرين أود أن أوجه إليك سلسلة من الأسئلة حول الدور الذى قمتم به فى تأسيس أحد التنظيمات الشيوعية فى مصر.. فماذا تريد أن تقول حول هذا الموضوع وخاصة فيما بعد عام ١٩٤٠؟

ج: أولا أود أن أؤكد أننى منذ ١٩٤٠ قد شعرت شعورا قويا بأن دورنا قد انتهى. لقد كنا قد وضعنا البذور ويكفى هذا بالنسبة لأجانب وكان رأينا أن نترك الأمر للمصريين وحدهم وإذا احتاجوا إلى بعض المعلومات أو المساعدات مثل الترجمة وما إلى ذلك فإننا نقدمها لهم. لكن قيامنا نحن الأجانب بتأسيس منظمة شيوعية مصرية كان أمرا مرفوضا.

وقد اعترض على موقفى هذا إيلى ميزان(*) وانسحب من مجموعتنا لينضم إلى مجموعة أخرى كانت تسعى لتأسيس منظمة.

س: حسنا، لنرجع إلى ما قبل ١٩٤٠ ولنبدأ مرة أخرى من البداية الأولى. كيف فكرت فى الثلاثينيات فى تكوين مجموعة ماركسية ومن حثك على ذلك؟ وهل كانت لعلاقتك بأحد الأحزاب الشيوعية الأوروبية صلة بذلك؟

ج: لم يحثنى أحد على فكرة تأسيس مجموعة. وأنا لم أكن على علاقة بأى حزب

أوروبى. عندما كنت فى ألمانيا كنت مجرد عاطف على الحزب الشيوعى الألمانى وكنت فى مجموعة من الدعاة وكان نشاطنا قاصرا على الدخول إلى المقاهى وإلقاء الخطب والأناشيد الثورية لكن لم نكن أعضاء فى الحزب.

وعندما عدت من ألمانيا ذهبت إلى إدفو حيث كان والدى يقوم بمشروع هناك والتقيت بالعامل والفلاح المصرى ومن هنا كانت الشرارة الأولى، وبعد ذلك عدت إلى سويسرا وحاولت العودة إلى ألمانيا لكن هتلر كان قد تولى السلطة وعدت إلى مصر.

س: اسمح لى أن أقاطعك لكن كوريل يؤكد أنك كنت على علاقة بالحزب السويسرى؟

ج: لا.. ولكن جورج بوانتيه كان على علاقة طفيفة بهذا الحزب، وكان يعمل مدرسا فى الإسماعيلية وبورسعيد.

س: كذلك يؤكد لاكور فى كتابه «الشيوعية والقومية فى الشرق الأوسط» أنك كنت ممثل الكومنترن فى مصر فما رأيك فى ذلك..؟

ج: غير صحيح والحقيقة أننا كنا كثيرا ما يتصل بنا أشخاص ليعلنوا أنهم يمثلون الكومنترن لكننا لم نتأكد من صحة أى ادعاء من هذه الادعاءات ولم تكن لدينا بالفعل أى علاقة حقيقية أو رسمية بالكومنترن(**).

س: حسنا، لنعد إلى بدء نشاطك فى مصر فى الثلاثينيات..

ج: كنت فى الإسكندرية ولم أكن أعرف أحدا من اليساريين لكننى كنت أريد أن أفعل شيئا وقابلت بعض اليونانيين والإيطاليين وكانوا على علاقات بالعمال المصريين وكانت هذه أول علاقة حقيقية لى بالعمل السياسى فى مصر. ولم أكن أعرف أنهم منضمون إلى منظمات سرية لكننا كنا نتناقش بشكل عام. ومع تطور علاقاتى باليونانيين قالوا لى إن شخصا يريد مقابلتى وكان هذا الشخص هو ياناكاكس. وعلمت أنه مسئول المجموعة الشيوعية اليونانية. والحقيقة أننى حتى هذه اللحظة لم يكن لدى أى فكرة عن قيامى شخصيا بتأسيس تنظيم. ومع استمرار الاتصال لاحظت أن نشاط ياناكاكس وكالياريكوس وبيريدس محصور تماما وسط الأجانب.

وخلال بعض المناقشات اقترحوا أن نصدر نداء للمطالبة بتحرير تيلمان لكننى سألت أنا وبعض الشباب ما علاقة هذا بالشعب المصرى؟ لا بد من عمل شىء لتحرير الشعب المصرى وتحريك الشعب المصرى.

وانفصلنا عن ياناكاكس وكونت أنا وأربعة من الشبان مجموعة جديدة تضم بيريدس، هاجى أندرياس (مصرى الجنسية من أصل يونانى كان يعمل فى مجال القطن وكان شاعرا. وقد نشر عددا من الدواوين والكتب ويعيش الآن فى اليونان).

وقلنا إن هدفنا الأساسى هو الخروج من مأزق العمل وسط الأجانب ومن السرية المطلقة التى أحاط بها ياناكاكس العمل بحيث جعل المجموعة معزولة تماما عن كل ما يجرى فى مصر.

فقد أحسسنا أنه لا قيمة لأن يقوم ٣٠ أو ٤٠ من اليونانيين المقيمين فى مصر بعمل تنظيم سرى يحيط نفسه بسرية مطلقة وبدون أية علاقة مع المصريين.

لعلاج أساليب العمل اضطرت المجموعة يوما لإصدار منشور باللغة اليونانية فأرسلوا لى عاملا يونانيا حتى أكتب المنشور بخطى فلا يستطيع البوليس الوصول إلى كاتب المنشور لأننى لست يونانيا.

ولكى نعمل ونتصل بالمصريين كان لا بد من البحث عن سند قانونى لتحركنا ولهذا أسسنا اتحاد أنصار السلام. وأقمنا علاقة مع الحركة العالمية المسماة Rassemblement Universel Pour la Paix وهكذا بدأنا الاتصال بالمصريين.

ولكن بعد أن أعلنت الحرب لم يكن من الممكن الاستمرار فى حركة السلام ولهذا أسسنا «مجموعة الدراسات» وكان هدفها تعريف الأوروبيين بأوضاع المجتمع المصرى.

لقد أغلقت الحدود. وهكذا كان لا بد للاجانب المقيمين فى مصر أن يتجهوا لدراسة الواقع المصرى، وكانت لنا علاقة جيدة بالليسيه فرانسيه وبالفعل تمكنت مجموعة الدراسات من إعداد دراسات جيدة عن الفلاح المصرى - تاريخ مصر - ثورة عرابى - نهر النيل - إلخ.

وكانت لنا أيضا علاقات بعدد من الإنجليز العاملين فى قوات الاحتلال ومنهم مثلا كولونيل أو كابتن Klugman وكان شخصا ممتازا ونشيطا. وقد تعرفت به عن طريق أستاذ إنجليزى شيوعى بالجامعة المصرية.

وقال Klugman إن علينا أن نضع كتابا بالإنجليزية موجها إلى جنود قوات الاحتلال الإنجليزية نحدثهم فيه عن مصر وحضارتها وتاريخها وعن ظروف معيشة الفلاح المصرى، وبالفعل أعددنا هذا الكتاب وطبع طبعتين والحقيقة أن أحد العوامل المساعدة أن الإنجليز كانوا يرحبون بالتعاون معنا خوفا من اتجاه المصريين نحو الألمان.

س: هناك شخصية أود أن أسألك عن رأيك فيها هى ليون كاسترو. فهل كان كاسترو يساريا أم صهيونيا وما هى علاقتكم به؟

ج: كاسترو كان معاديا للنازية ومن هذه الزاوية اتخذ مواقف يسارية وتعاون مع اليسار لكنه كان أيضا صهيونيا. ومثل هذه التركيبة كانت موجودة بكثرة فى هذه الأيام حيث اندفع كثير من اليهود للنضال ضد الفاشية فى تعاون مع كل أعداء الفاشية بما فيهم الشيوعيين.

وعندما كنا فى مجموعة الدراسات اتصل بى شخص وقال إنه موفد من قبل كاسترو وأبدى استعداده لمساعدتنا وتمويل أعمالنا لأننا ضد الفاشية ولم يقدموا أية شروط لكنهم أظهروا أنهم فى خوف شديد من جماعة الإخوان المسلمين.

وقد رفضنا بشدة أى اتصال بهم أو قبول أى مساعدة منهم، ولكن هذا الموقف من كاسترو ومجموعته أدى إلى حدوث خلاف شديد فى صفوف مجموعة الدراسات.

س: كيف كنتم تحصلون على الكتب الماركسية؟

ج: عندما عدت من سفرى فى المرة الأولى أحضرت معى بعض الكتب وأذكر أننى عندما كنت فى إدفو كان معى كتاب رأس المال لكارل ماركس. وفى ١٩٣٨ سافرت زوجتى إلى فرنسا وعادت ومعها عدة حقائب مليئة بالكتب. وفى هذه الفترة كان كل شخص يسافر للخارج يعود ومعه كتب.

س: كيف أسست التنظيم؟

ج: أنا مصمم على أننى لم أؤسس تنظيما، أنا وضعت البذور ثم تركتها، أنا كنت من الناحية المبدئية ضد أن يقوم أجنبى بتأسيس تنظيم.. إننى أقر بوضوح أن تاريخ الحركة الشيوعية قد بدأ بعد أن تنحيت أنا عن العمل.

لقد عملت فى مصر عشر سنوات من النضال الديمقراطى والماركسى بهدف نقل الفكر الماركسى إلى عدد من المصريين وهذا هو كل دورى وبعد ذلك تركتهم يفعلون ما يشاءون.

لكن كوربيل كان يرى أنه يمكنه وهو أجنبى أن يؤسس تنظيما. وعندما حضر أندريه مارتى إلى مصر ناقشه كوربيل وأيد مارتى وجهة نظر كوربيل. وهذا طبيعى فالحزب الشيوعى الفرنسى كان يرى أنه يمكن لكوادر أجنبية أن تقود العمل الحزبى فى بلد مستعمر وكان هذا هو موقفهم العملى فى الجزائر.

واستنادا إلى تأييد أندريه مارتى كوّن كوريل «ح. م.» وطلب إلى رفاقى أن أعرف وجهة نظر الحزب الفرنسى فى هذا الموضوع وظللت أتصل لمدة أربع سنوات بالمكتب السياسى للحزب الفرنسى دون أن أتلقى ردا.

س: هل تريد أن تضيف شيئا حول النشاط فى الأربعينيات؟

ج: لا.. أسأل أصحاب هذا النشاط أما أنا فكان دورى قد انتهى تماما.

انتهى النقاش

(*) أخو زوجة بول جاكو دى كومب.

(**) خلال إحدى الجلسات رأى بول جاكو دى كومب معى بعض وثائق مصورة من International Press وهى النشرة التى كان يصدرها الكومنترن، فقال لقد كتبت عدة مقالات فى هذه المجلة. لكنه لم يعد إلى الإشارة إلى هذا الموضوع مرة أخرى.

محضر نقاش مع ريمون أجيون(*)
أجريت المناقشة فى باريس فى ٤ إبريل ١٩٧٣

س: سأبدأ بسؤال تقليدى.. الاسم، الميلاد، المهنة حاليا..

ج: اسمى ريمون أجيون، مولود فى عام ١٩٢١ بالإسكندرية، أعمل حاليا تاجرا للوحات التشكيلية وأقيم فى باريس.

س: كيف ولماذا ومتى انتميت إلى الحركة اليسارية.. وعن طريق من؟

ج: الحقيقة أنه من الصعب أن أقدم إجابات دقيقة على سؤال دقيق كهذا فقد كنا مجموعة من الأجانب، كل واحد فينا يعرف الآخر. وكان عددنا قليلا، ومن ثم فقد كان كل منا يتحدث مع الآخر ويؤثر فى الآخر. وفى البداية كنا نسرع بالاتفاق ثم نسرع بالخلاف مع بعضنا البعض.

س: المهم كيف اتجهت يسارا؟

ج: المسألة - بالنسبة لى على الأقل - لم تأت دفعة واحدة، لم أتخذ قرارا من جانبى بأن أصبح يساريا، كنا نعيش فى مصر كأسرة أجنبية وكنت أتردد كثيرا على أوروبا، ولم يكن غريبا أن يذهب شاب ممتلئ حماسا إلى أوروبا وينبهر بها، ثم يعود إلى مصر فيشعر بأن الأمور لا تسير فى الطريق الصحيح.. وهكذا تكونت لدى فى البداية أفكار اشتراكية

خيالية.. وكأى شاب أجنبى ذى ثقافة فرنسية قرأت جان جاك روسو، والبؤساء لفيكتور هوجو، كنت أقرأ ثم أنزل إلى الشارع فأشعر بأن كل ما يصفه هوجو من بؤس موجود فى مصر، لكننى لم أكن أعرف ماذا أفعل.

وخلال هذه الفترة - وكان سنى حوالى ١٥ سنة - وخلال زيارة لباريس سمعت عن النضال الاشتراكى وعن الجبهة الشعبية وكان من اليسير جدا على إنسان مثلى أن يتصل باليسار الفرنسى.

كذلك كانت هناك مسألة مهمة، كان ظهور هتلر وانتصاره فى ألمانيا يرعب اليهود، وأنا يهودى، وقد شعرت كما شعر كثير من اليهود بضرورة اللجوء إلى مساندة الحركة الديمقراطية المناهضة للفاشية. وهكذا ومن هذه الخلفية بدأت أقترب رويدا رويدا من العمل اليسارى.

وثمة منطلق آخر.. فأنا من أسرة غنية، وكنت أشعر وأنا شاب متحمس، وبهذه الخلفية الفكرية، أن أسرتى تستغل الشعب المصرى، ومن خلال هذا الشعور، ومن خلال التناقض بين الأجيال بدأت أيضا أتمرد.

وقد كنت طالبا فى المدرسة اليهودية بالإسكندرية، وهى مدرسة تضم طلابا من مختلف الفئات الاجتماعية، وكان بالمدرسة بعض المدرسين التقدميين من بينهم مدام آنا طوبى (التى تزوجت فيما بعد زربينى وأصبحت مدام زربينى). وكانت مدام طوبى زميلة لجاكو دى كومب، وتعمل معه فى اتحاد السلام، وكانت تدرس لنا التاريخ، وكنا فى هذه الفترة نقرأ كتب أندريه مارلو وغيره، وفى سن الرابعة عشرة وجدت نفسى طالبا فى مدرسة مديرها اشتراكى ومدرستها تقدمية وجوها العام كان ديمقراطيا ومعاديا للفاشية، وكان هناك فى المدرسة طلاب يهود فقراء إلى حد ما، وكانوا يشعرون بالتناقض مع الطلاب الأغنياء.

كل هذا خلق المناخ الذى تحولت فيه تدريجيا نحو اليسار وأصبحت ماركسيا.

س: ولكن كيف كانت البداية الفعلية؟

ج: جذبتنى مدام طوبى إلى اتحاد أنصار السلام، وطلبت منى أن أدرس وأن أناقش وكنت صغيرا جدا، لكننى كنت متحمسا وبدأت فى النشاط لكننى وبعد فترة أحسست أننا أجانب نتحدث مع الأجانب عن الأجانب، والمصرى الوحيد بيننا كان يشعر بعزلة قاسية.

كذلك بدأت أشعر أن هؤلاء العاملين فى اتحاد السلام كانوا حذرين أكثر من اللازم، خائفين دوما، يخشون أى تحرك، وكانوا يتحدثون حتى فيما بينهم بحذر شديد، وخوف شديد، وقلت فى نفسى إذا كانت هذه هى الشيوعية فأنا لست شيوعيا..

وعندما أصبحت فى السابعة عشرة من عمرى وحصلت على البكالوريا بدأ حلمى القديم يراودنى.. أن أدرس الطب، وأصبح طبيبا يعيش فى ريف مصر ليعالج الفلاحين الفقراء.. وينشر الاشتراكية فى صفوفهم.. وتوجهت إلى باريس ودرست السنة الإعدادية فى كلية الطب، واتصلت بالشيوعية ولكننى لم أنضم للحزب الشيوعى رسميا، وبدأت نذر الحرب العالمية الثانية فأسرعت بالعودة إلى القاهرة.. كانت سنى ١٨ سنة ونصف ولم أجد سوى العمل مع ذات المجموعة القديمة «اتحاد أنصار السلام».. برئاسة بول جاكو الذى اعتبرنى هو وزملاؤه متطرفا ومشاغبا، وفى نوفمبر ١٩٣٩ تركتهم أنا ومارسيل إسرائيل وراؤول كورييل وفتاة يونانية (لا أذكر اسمها) لكنها كانت تعمل بالصحافة وقد أسست معها بعد ذلك صحيفة «دون كيشوت» وكان مارسيل أكثرنا خبرة، لكن خبرته كانت هى أيضا متواضعة، وعندما اتفقنا على ترك مجموعة بول جاكو كنا نعرب بذلك عن سخطنا على التردد والخوف وعلى انحصار العمل وسط الأجانب وحدهم وعلى الابتعاد عن المصريين وعن مشاكل مصر الحقيقية. ولهذا قررنا تأسيس حزب شيوعى.

وفى نوفمبر ١٩٣٩ اجتمعنا نحن الأربعة وقررنا أننا الحزب الشيوعى وكانت هذه سذاجة مفرطة، وربما كانت محاولة لبث الشجاعة فى نفوسنا لكنها لم تكن بأية حال تعبيرا عن واقع موضوعى.

وبدأنا..

كان مارسيل يعمل فى مصنع قرب حلوان، وكانت لديه بعض علاقات بالعمال، وبعضنا كانت له علاقات بعدد من الطلاب.. وفى نفس الوقت تأسس النادى الديمقراطى وانضممنا إليه لنعمل من داخله.

س: كيف؟

ج: ابتداء من نوفمبر ١٩٣٩ كنت أعتبر نفسى شيوعيا، قبلها كانت لدى مجرد تطلعات اشتراكية. وعندما أسس هنرى كورييل النادى الديمقراطى قلنا لأنفسنا نحن حزب شيوعى وهم تجمع قانونى علينا أن نعمل فى داخله لنكسب قوات جديدة لصفوفنا، ثم كانت هناك أيضا جماعة الفن والحرية فعملنا معها أيضا..

أى أننا قسمنا نشاطنا فى الفترة إلى قسمين..

النشاط القانونى، وكان يتمثل فى العمل المناهض للفاشية والنشاط الديمقراطى العام ومقاومة الدعايات المناهضة للسوفييت، ومن هذا المنطلق أقمنا علاقات متشعبة.. مع النادى الديمقراطى (القاهرة) ومع اتحاد السلام (أساسا بالإسكندرية) ومع مجموعة الفنانين السيرياليين الذين أسموا أنفسهم «الفن والحرية» ومنهم جورج حنين ورمسيس يونان وكامل التلمسانى، وهؤلاء السيرياليون لم يكونوا متفقين معنا ١٠٠٪ لكننا قلنا إنه فى بلد كمصر وفى فترة كهذه لا بد أن نتعاون مع أية قوى مستنيرة، بينما كان بول جاكو وأمثاله من الجيل القديم ضد أى علاقة مع هذه المجموعة بحجة أنهم تروتسكيون.

وأصدرنا مجلة «دون كيشوت» باللغة الفرنسية وقد عارضها مارسيل بينما كنت أنا وراؤول كوربيل نعتبرها مجرد وسيلة لتقريبنا من الناس.

وكانت افتتاحية العدد الأول عن الاتحاد السوفييتى وكان الموقف معقدا للغاية وقد كتبتها أنا وراؤول. وكانت فترة الوفاق السوفييتى مع ألمانيا، وكان الكثيرون يهاجمون السوفييت بعنف لهذا السبب، وقد حاولت الافتتاحية أن تقول بأن السوفييت لم يتحالفوا مع الألمان، وبأن الحرب الفنلندية ليست ضد «المعسكر الحر» وإنما هى ضد ألمانيا، وكانت هناك رقابة على الصحف، وكنا مضطرون أن نتلاعب بالألفاظ ولم يكن ممكنا أن ندافع صراحة عن السوفييت.

واختلف مارسيل معنا بسبب المجلة، وانقسمنا.

وتوقفت «دون كيشوت» وبدأت محاولة جديدة فى مجلة تصدر بالعربية هى «المجلة الجديدة».

وعن طريق «دون كيشوت» تعرفت برمسيس يونان.. واتفقنا على العمل معا فى المجلة الجديدة وأصبحنا شركاء لسلامة موسى ثم اشتريت منه المجلة. وكان تكتيك رمسيس يونان وأصدقائه مماالأتى عندما كان الاتحاد السوفييتى يتراجع أمام الألمان، ولكن بعد معارك ستالينجراد وبداية الانتصار السوفييتى بدأوا فى الهجوم على السوفييت.. وانقسمنا، وبرغم أننى دفعت كامل ثمن «المجلة الجديدة» الا أن العقود كانت باسم رمسيس يونان فأخذ المجلة لكنها لم تلبث أن توقفت.

وفى المجلة الجديدة كنت قد تعرفت بأسعد حليم وأسست له دار نشر هى «دار الفجر» ولم يكن أسعد من مجموعتى لكننى كنت أساعد أى إنسان تقدمى. فلم يكن يهمنى إلا النضال.

وخلال تقدم القوات الهتلرية فى جبهة العلمين سافرت إلى فلسطين حيث التقيت بعدد من الرفاق الفلسطينيين فى حيفا.

وبعد عودتى إلى مصر بدأت فى الاهتمام بالمسألة اليوغسلافية، وكان هناك ٢٨،٠٠٠ مهاجر يوغسلافى، أتى بهم الصليب الأحمر ومنظمة «أونرا» وكدسوهم فى معسكر فى منطقة الشط بالقنال. وكانوا قد أتوا وبينهم تنظيم سياسى قوى اختيرت قيادته فى يوغسلافيا وقد حاول الإنجليز تدمير هذا التنظيم.

وقد اشتركت زوجتى مع عدد من السيدات الإنجليزيات فى تكوين لجنة للاهتمام بهم، وقامت اللجنة بجمع تبرعات مالية، ومساعدتهم على مواصلة نشاطهم السياسى، وقدمنا لهم مساعدات مهمة، وقامت علاقة بيننا وبين الشيوعيين فى صفوفهم. ولفترة ليست قصيرة كنت أركز نشاطى فى هذا الموضوع.

وكانت هناك أيضا مشكلة اليونانيين، كانت التشكيلات العسكرية اليونانية تقاوم سياسة الإنجليز المتآمرة ضدهم والتى تحاول تصفية الفرق العسكرية اليونانية التى تتمتع القوى الثورية فيها بنفوذ هام، وذلك بالزج بهم فى معارك غير متكافئة مع العدو وفى جبهات بعيدة عن الجبهة اليونانية. وقد قام الجنود اليونانيون بخمسة انتفاضات مهمة، وكنا نساعدهم مساعدات كبيرة. وفى إحدى هذه الانتفاضات حاصرتهم القوات البريطانية ومنعت عنهم الطعام، وتحركنا نحن لمساعدتهم، جمعنا تبرعات واشترينا طعاما واتصلنا بعدد من الجنود الإنجليز الشيوعيين وعن طريقهم كنا نهرب لهم الطعام والمعلومات وقدمنا لهم مساعدات جدية.

س: كيف ومتى تركت مصر؟

ج: فى عام ١٩٤٥ بدأت الحركة الشيوعية المصرية تزدهر، وأحسست أن جذورها بدأت تتعمق، وكنت فى هذه الأثناء أشعر أننى بثقافتى الأجنبية عاجز تماما عن تقديم المزيد. وكان هذا إحساسى بالنسبة لبقية الأجانب وقررت أن أترك مصر، وغادرتها إلى باريس حيث انضممت إلى الحزب الشيوعى الفرنسى.

س: هكذا أستطيع أن أصل معك إلى مرحلة أساسية فى الحوار وهى المجموعة الطلابية المصرية التى تكونت فى باريس.. علاقتك بها؟ نشاطها؟ كيف تكونت..؟

ج: أتى إلى فرنسا طلاب مصريون كثيرون بعد الحرب العالمية الثانية وكان هناك

مصريون سابقون مقيمون أيضا فى فرنسا وفى هذا الحين تواجدت فى مجموعة حزبية كلفها الحزب الشيوعى الفرنسى للعمل فى هذا المجال.. وهذا هو كل شىء.

س: هل تسمح بمزيد من التفصيل، ولكى أكون محددا فإن هناك اعتقاد بأنك كنت على علاقة بمجموعة ما، وأنك كنت توجهها سياسيا.

ج: كان كل هدفى هو العمل على توحيد الشيوعيين المصريين، وقد اتحدوا ولكنهم عاودوا الانقسام. أمام علاقتى بمجموعة ما فالحقيقة أنه كان هنا فى باريس طلاب مصريون كنا على علاقة بهم بحكم نشاطى الحزبى، وبعد عودتهم لمصر كان بعضهم يأتى لزيارتى، وكنا نتناقش بطبيعة الحال، وربما جاء هذا الظن من أنهم كانوا يعودون إلى مصر فيقولون إن أصدقاءنا فى فرنسا يقولون كذا وكذا. وتصور البعض إننى أوجه هؤلاء الناس من هنا. والحقيقة أنه ربما كانت لنا فى فرنسا وجهة نظر معينة لكننا لم نكن ندخل فى أى تفاصيل.

س: وماذا عن تداخل الحزب الشيوعى الإيطالى فى الأوضاع المصرية؟

ج: الإيطاليون لم يهتموا بمصر إلا مؤخرا.. كان هناك مصريون سابقون أعضاء فى الحزب الشيوعى الإيطالى ولم تعد لهم علاقة جدية بمصر مثل ريناتو ميللى. والحقيقة أن الاهتمام بمصر عندما أتى متأخرا لم يأت عن طريقهم وإنما عن طريق بعض الصحفيين من الأونيتا الذين زاروا مصر وأقاموا علاقات هناك.

س: وأنت شخصيا.. ماذا كان دورك؟

ج: ربما كنت أهتم أكثر من الآخرين، ربما كانت علاقاتى أوثق بأصدقائى القدامى من الطلاب الذين عادوا إلى مصر ومارسوا دورهم، ولكننى لم أكن أوجه أوامر أو تعليمات لأحد.. كنت فقط أقول رأيى.. وأقرر أنه لم يكن هناك توجيه من الخارج لكن يمكن القول بأنه كان هناك ضغط من الخارج من أجل الوحدة.

س: ماذا إذن عن نشرة «الشرق الأوسط» التى كنت تصدرها فى باريس، والتى انتهجت خطا سياسيا مشابها لخط من أسميتهم أصدقاءك القدامى..؟

ج: عندما فتحت السجون والمعتقلات فى مصر قررت القيام بعمل إعلامى لمساعدة المناضلين الشيوعيين المصريين والدفاع عنهم، ولكن لكى يمكن لهذه المجلة أن تجد قراء كان لا بد من عدم الاكتفاء بالحديث عن المعتقلين وإنما أن نتحدث عن أوضاع مصر بشكل

عام، وقد كانت «الشرق الأوسط» مجلة جيدة.. وتضم موادا ممتازة وكان لها قراء كثيرون.

س: متى صدرت هذه المجلة.. ومتى توقفت؟

ج: صدرت فى نهاية ١٩٤٩ وتوقفت فى نهاية ١٩٥١ وكانت تصدر شهريا.

س: ماذا كانت الاهتمامات الأساسية للمجلة؟ وما هى علاقاتها؟ ومن كان يمولها؟

ج: كانت مجلة مستقلة، وكنت أنا الممول، وأصدرتها أنا وعدد من الأصدقاء وكان تركيزنا الأساسى على قضايا الشرق الأدنى، وكانت لنا علاقات بالشيوعيين الإسرائيليين وحتى بالمابام، لكن الشيوعيين السوريين كانوا ضدنا.

انتهى النقاش

(*) ظل ريمون أجيون منتسبا لفترة طويلة إلى الحزب الشيوعى الفرنسى وذلك بعد أن غادر مصر فى عام ١٩٤٥. حيث مارس نشاطا حزبيا مع مجموعة من الطلاب المصريين الدارسين فى فرنسا وحيث ارتبط اسمه بتأسيس منظمة الحزب الشيوعى المصرى (الراية).

محضر نقاش مع دينا فورتى(*)
أجريت المناقشة فى روما فى ١٩٧٣/٢/٢٤

س: متى بدأ نشاطك السياسى؟ وكيف؟ ومن خلال أية منظمات؟

ج: بدأت نشاطى السياسى فى عام ١٩٣٨، وكان ذلك فى اتحاد أنصار السلام.

س: هل يمكن أن تعطينى صورة عن تكوين اتحاد أنصار السلام، وأسلوب عمله؟

ج: كان الرئيس بول جاكو دى كومب، وكان هناك عدد لا بأس به، أذكر مجموعة من اليونانيين منهم فيو بيريدس الشاعر اليونانى المشهور الذى أقام فيما بعد فى قبرص والذى ترجمت أشعاره إلى العديد من اللغات، وأيضا زوجته ألكسندرا، وفى الإسكندرية كانت هناك مجموعة من الأجانب منهم كازيس Cazes ودورا ستوليار Dorra Stoliar وأخوها آبى ABY وهما من أصل روسى وأذكر أن آبى ABY هذا شارك فى الحرب ضد النازى ومات فى المعارك فى الجبهة الإيطالية.

وكانت المسئولة عن النشاط فى الإسكندرية أنا طوبى ANNA TUBY زوجة جاكو طوبى وكان شيوعيا.

س: وماذا عن نشاط اتحاد أنصار السلام..؟

ج: كان نشاطنا خلال ٣٨- ١٩٣٩ يتركز أساسا فى تأييد الجمهوريين الإسبان، سواء

فى جمع تبرعات أو تنظيم حملات إعلامية ودعاية، وأذكر أننا نظمنا حملة واسعة لجمع تبرعات لمدرسة أطفال فى فالينسيا بالمنطقة المحررة.

وكنا ننظم محاضرات لتأييد الحرب الوطنية فى الصين..

س: هل كان معكم مصريون؟

ج: أذكر شخصا مصريا كان معنا اسمه صبحى وكان مدرسا، وقد سمعت أنه ترك النشاط بعد ذلك.

س: هل كان نشاطك يقتصر على العمل فى اتحاد أنصار السلام؟

ج: لا.. فقد كنت شيوعية وكنت مرتبطة بالحزب الشيوعى الإيطالى وكانت هناك مجموعة إيطالية أذكر منها ريناتو ميلى Renato Miely وزوجته إيزا ISA وأوجو ناكسون Ugo Nacson وريناتو فرفره Renato Farfara.

وكنا ننشط وسط الجالية الإيطالية لتعبئة جماهيرها ضد الفاشية وكانت هناك مجموعة إيطالية نشيطة معادية للفاشية تضم أحد قادة الحزب الاشتراكى الإيطالى وهو باولو باتينو Pawll Patino. والحقيقة أن المجموعة الشيوعية الإيطالية كانت نشيطة للغاية ووسعت مجالات عملها إلى حد كبير.

س: وماذا عن علاقاتكم بالحزب الشيوعى الإيطالى؟

ج: كانت علاقتنا بفرع الحزب الشيوعى الإيطالى فى فرنسا وكانوا يرسلون لنا نسخا من جريدة كانوا يصدرونها فى باريس واسمها La Voce Delgi Italiane (صوت الإيطاليين) وكانت تصلنا بالبريد وكنا نقوم بدورنا بتوزيعها بالبريد على الأسر والشخصيات الإيطالية المناهضة للفاشية، وكنا نصدر منشورات فى المناسبات والأحداث المهمة ونوزعها بالبريد.

وكانت المجموعة الشيوعية وخاصة ريناتو ميلى وناكسون وباتينو غاية فى النشاط فى مجال العمل المناهض للفاشية، وكان هؤلاء الثلاثة مدرسين بالمدرسة الإيطالية، ومارسوا نشاطهم على نطاق واسع فى المدرسة وخاصة فى فترة الحرب الإيطالية ضد الحبشة وفى الحرب الإسبانية.

وقد كان ريناتو ميلى أستاذا فى جامعة بادوا ولكنه اضطر للهجرة إلى مصر فى أعقاب الردة العنصرية لأنه كان يهوديا وبدأ يعمل كمدرس فى الليسيه اليهودية.

ومن بين العناصر التى نشطت نشاطا واسعا ضد الفاشية محام إيطالى اسمه مارسيل ميسيكوا Messicwa.

س: ثمة معلومات مؤكدة أن الرفيق سبانو أحد قادة الحزب الشيوعى الإيطالى - فى ذلك الحين - زار مصر فى نهاية الثلاثينيات وأقام بها لفترة.. فما هى معلوماتك عن هذه الزيارة؟ وأسبابها؟

ج: فيما أعلم أنه وصل إلى مصر فى فترة الحرب ضد الحبشة وأنه أقام فى بورسعيد بهدف تنظيم نشاط وسط الجنود الإيطاليين المتجهين إلى الحبشة، وكان بالفعل ينظم علاقات معهم ويوزع عليهم بيانات معادية للحرب ضد الحبشة.

س: هل شعرت من خلال تواجدك فى اتحاد أنصار السلام بأن بول جاكو كان يسعى القامة تنظيم ماركسى فى مصر؟

ج: لم أشعر، ولكن سمعت أنه كان يحاول ذلك.

س: وماذا عن المجموعات الشيوعية فى الأقليات الأجنبية الأخرى؟

ج: قلت لك كان هناك يونانيون وأذكر منهم بالإضافة إلى بيريدس شخص آخر اسمه حاجى باباندريو وهو كاتب روائى مشهور واسمه الذى أشتهر به فى ميدان الأدب هو تسيركوس Tsirkos. وكانت المجموعة اليونانية نشيطة للغاية أكثر نشاطا منا لأن الجالية اليونانية كانت أكثر عددا والتأثير الفاشى فيها أقل.

س: هل كنتم تصدرون نشرات أو مجلات؟

ج: كنا نصدر مجلة باللغة الإيطالية مناهضة للفاشية وكنا نوزعها على أسرى الحرب من الإيطاليين وقد لعبت هذه المجلة دورا هاما واسمها Fausta Terni وكان يرأس تحريرها لارا ليفى Lara Levi زوجة راؤول مكاريوس.

س: هل أقامت هذه المجموعة المناهضة للفاشية فى مصر علاقات مع الإنجليز؟

ج: طبعا، واتفقنا معهم على طبع مجلة باللغة الإيطالية اسمها «الجبهة المتحدة» Fronte Unito لتوزيعها على أسرى الحرب الإيطاليين فى كل أنحاء العالم، وكانت فعلا توزع فى معسكرات الأسرى بالهند وجنوب أفريقيا وغيرهما. وكان اتجاه المجلة تقدميا بشكل عام فكانت تؤيد وتمتدح موقف الاتحاد السوفييتى، وتشيد ببطولة السوفييت فى معارك ستالينجراد.. إلخ.

س: ماذا كان موقفكم تجاه قضايا الشعب المصرى؟

ج: كان خطأنا الأساسى أننا حصرنا أنفسنا فى الاهتمام بالأوضاع الإيطالية، كنا نناضل من أجل إيطاليا، ونتتبع أخبارها، وكنا نوزع نشراتنا على الإيطاليين، ونعمل بينهم، وأنا مثلا لم أهتم بدراسة اللغة العربية، ولم أهتم بدراستها إلا بعد أن وعيت سياسيا فحاولت أن أتلقى دروسا فى اللغة العربية على يد صبحى.. ولكن لم أستمر طويلا.. هذا بينما كان ريناتو ميللى يتكلم العربية لكن طموحنا ونضاليتنا كانت تتركز فى العمل من أجل إيطاليا وكان النموذج الأمثل هو أن يعود الإنسان إلى إيطاليا ليقاوم الفاشية، وأذكر مثلا كارليتو مندل Corletto Mendel وكان مناضلا ممتازا غادر مصر إلى إيطاليا عام ١٩٣٩ ليناضل إلى جانب الشعب الإيطالى.. واستمر يناضل حتى قتل بأيدى الفاشست عام ١٩٤٣.

س: هل لديك أية معلومات عن نشاط المجموعات الشيوعية الأجنبية الأخرى فى مصر؟

ج: لم أكن على علاقة إلا بالإيطاليين واليونانيين.

انتهى النقاش

(*) دينا فورتى مناضلة شيوعية إيطالية، لعبت دورا هاما فى حركة اليسار وسط الجالية الإيطالية بمصر فى نهاية الثلاثينيات ومطلع الأربعينيات غادرت مصر إلى إيطاليا حيث ما زالت تمارس دورا نشيطا فى الحزب الشيوعى الإيطالى.

محضر نقاش مع مارسيل ميسيكوا
أجريت المناقشة فى باريس فى ١٩٧٣/٤/٥

الاسم: مارسيل ميسيكوا.

تاريخ الميلاد: ١٩٠٧.

محل الميلاد: الإسكندرية.

المهنة: رجل أعمال. محام.

س: أود أن تعطينى فكرة عن حركة اليسار الأجنبى فى الثلاثينيات: مكوناته منطلقاته، اتجاهاته.

ج: بالنسبة لى أنا بدأت النشاط فى عام ١٩٣٦ وكنا مجموعة من المثقين اليهود واليونانيين أذكر منهم شارل عيسوى(*) وإميل نجار(**).

وقد تركنا شارل واتجه يمينا، وكنا مجموعة أجنبية معزولة تماما عن الشعب المصرى.

وأذكر أننى فى عام ١٩٣٦ تلقيت بالبريد طردا من الكتب الماركسية باللغة الفرنسية وكان مرسلا لى من باريس، واستولى عليه البوليس واستدعانى جيتس باشا مدير البوليس وحقق معى طويلا، ثم أعاد إلى الكتب بعد أن نبه على ألا أطلع عليها أحدا غيرى..

وقد ظللت لسنوات أدرس الماركسية، وأتناقش عنها مع بعض أصدقائى الأجانب لكننى لم أتصل مطلقا بأى مصرى..

س: هل يمكنك أن تتذكر بعض الأسماء التى كنت تتصل بها فى هذه الفترة؟

ج: جاك توبى وكان زوج مدام توبى ثم انفصلت عنه، ريمون أجيون، وكان هناك سيرينى وهو اشتراكى إيطالى وهو رجل ممتاز وكان أخوه أحد قادة الحزب الشيوعى الإيطالى..

وكانت هناك أيضا لارا ليفى زوجة راؤول مكاريوس، وأذكر أنها كانت تصدر مجلة إيطالية، وعندما مر تولياتى بالقاهرة قادما من موسكو بعد الحرب العالمية توجه إليها فى منزلها وانتقد المجلة نقدا شديدا.

وكان هناك من اليونانيين الشاعر بيريدس والرسام أنزلو بولو وأندريه فاتيديس وهو الآن فى أثينا..

س: ألم تكن لكم أية علاقات بالمصريين؟

ج: بشكل عام لم تكن لنا علاقة بهم ولا حتى اهتمام بالاتصال بهم، وإن كنت أذكر بعض علاقات عابرة مع توفيق الحكيم وزهير جرانه..

س: الآن أريد أن أفهم طبيعة هذه المجموعة التى تتحدث عنها؟

ج: كنا مجرد مجموعة من اليهود الديمقراطيين نتخذ موقفا ضد النازى، ولكن لم تكن لنا أية مبررات للتصادم مع الإنجليز أو للاهتمام بمشاكل مصر.. ومن هنا فقد تباعدنا عن الآخرين الذين قرروا الاهتمام بمصر وبمشاكلها.

س: أفهم من هذا أنه لم تكن لك أية علاقات بالشيوعيين أو المنظمات الشيوعية!

ج: كان هناك شخص إيطالى اسمه هنريكو تيرنى وكان على علاقة قديمة بالحزب الشيوعى المصرى منذ عام ١٩٢١، وبعدها استمر يعمل كشيوعى وسط الإيطاليين، وكان يعطينى نشرات مكتوبة باللغة الإنجليزية تمتدح الاتحاد السوفييتى.

س: متى غادرت مصر؟

ج: فى مايو ١٩٤٨.

انتهى النقاش

(*) شارل عيسوى: مؤلف كتاب واسع الشهرة عن الاقتصاد المصرى.. وقد ألمح ميسيكوه إلى أنه قد أسهم فى إعداد مواد هذا الكتاب.

(**) إميل نجار: سفير إسرائيل فى روما (وقت النقاش).

محضر نقاش مع راؤول كورييل(*)
تمت المناقشة فى باريس فى منتصف نوفمبر ١٩٦٨

س: أبلغنى جاكو دى كومب أنك عملت معه فى جمعية السلام فهل هذا صحيح؟

ج: نعم وكان معنا أيضا راؤول مكاريوس وزوجته (وهو الذى أسس فيما بعد مجموعة تحرير الشعب) وكان معنا أيضا سيدة إيطالية اسمها فاوستا تيرنى أصدرت فى مصر جريدة إيطالية سارية اسمها (الجبهة المتحدة).

وكذلك ريمون أجيون (انضم بعد ذلك للاتحاد الديمقراطى وأسهم فيما بعد فى تأسيس مجموعة الحزب المصرى) ومارسيل إسرائيل وآخرين.

س: قال جاكو دى كومب إنك كنت تروتسكيا؟

ج: هذا غير صحيح على الإطلاق والحقيقة أننا اختلفنا معه لأنه كان يخاف من أى تحرك ويخشى أى ارتباط بالمصريين ويعمل فى حذر شديد جدا يصل إلى حد الشلل التام وكان يخشى من أى مظهر ماركسى.

والحقيقة أنه حتى جورج حنين لم يكن من الممكن اعتباره فى ذلك الحين تروتسكيا.. وإن كان قد أصبح فيما بعد أحد زعماء التروتسكيين..

س: ما هى أساليبكم فى العمل بعد الانفصال عن جاكو دى كومب؟

ج: بدأنا فى تكوين مجموعات صغيرة تدرس الماركسية.

انتهى النقاش

(*) شقيق هنرى كورييل.

محضر نقاش مع أنور كامل(*)
تمت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٦٩/١/١٣

س: هل أستطيع أن أسألك عن بدء علاقاتك بالاتجاه اليسارى؟

ج: فى البداية اتصلت بجماعة Essayistes «المحاولين» ولكن صلتى بهذه الجماعة كانت ضعيفة جدا ولم تتعد زيارتين أو ثلاثة، لكننى لم أشعر بالقدرة على الاندماج معهم.

وفى عام ١٩٣٦ أصدرت كتابا اسمه «الكتاب المنبوذ» وقد صدر عن دار نشر يملكها أحمد الصاوى محمد وهى دار «مجلتى».

وعن طريق هذا الكتاب تعرفْ بى كامل التلمسانى وتدعمت العلاقات بيننا بشكل وثيق ومستمر.

وفى عام ١٩٣٧ أو ١٩٣٨ -لا أذكر بالضبط- أقام التلمسانى معرضا لرسومه وكان الطابع الغالب عليه هو الطابع السيريالى.. وقد أحدث معرضه ضجة وتجمع حوله عدد من المثقفين.

وعن طريق التلمسانى تعرفت بجورج حنين وتوثقت علاقتى به وكان يرتب فى ذلك الحين هو وعدد من المصريين للانفصال عن جماعة Essayistes.. وبعدها اتصلنا بالاتحاد الديمقراطى لكن لم نشعر بالارتياح معهم..

وهكذا انفصل جورج حنين مكونا جماعة «الفن والحرية» وكنت عضوا بها.

س: ألم تتصلوا بجماعة بول جاكو دى كومب؟

ج: هذا الاسم لا أتذكره مطلقا، ربما التقيت به ولكننى لا أتذكره مطلقا.

س: كيف سار النشاط فى جماعتكم الجديدة «الفن والحرية»؟

ج: أصدرنا سلسلة من النشرات وكلها ذات طابع فنى، والحقيقة أننا كنا جميعا نتجه إلى الفن.. وأذكر أن أولى نشراتنا كانت عنيفة جدا وتتضمن بيانا بعنوان «يحيا الفن المنحط» وقد طبعناها بالعربية والفرنسية وقد وضع هذا البيان سلامة موسى، جورج حنين، رمسيس يونان، فؤاد كامل، كامل التلمسانى، وأنا.

وعلى ظهر النشرة طبعنا صورة «جرنيكا» لبيكاسو.

وهذه النشرة رغم صغرها كانت بالغة الأهمية.. والبيان كان اتجاهه العام معاديا للفاشية ودفاعا عن حرية الرأى وحرية الأدب والفن.. لكن لم تكن هناك اتجاهات اشتراكية بالمعنى المفهوم.. لكن أهمية هذا النداء أن موقّعيه كانوا جميعا من المصريين.

وعقب نجاح النشرة الأولى تحمسنا لإصدار نشرة ثانية وكانت دراسة لأندريه جيد أعتقد أن عنوانها كان «دفاع عن الثقافة».

وعقب ذلك تجمع حولنا عدد من الشبان وأحسست أنه لابد أن تكون لنا مجلة، فحصلت على ترخيص مجلة «التطور» وكنت رئيس التحرير وكان يكتب فى المجلة رمسيس يونان، كامل التلمسانى، أحمد عبدالعزيز هيكل، وأنا، عصام الدين حفنى ناصف، توفيق حنا، زكى سلامة، عبد المغنى سعيد، د. نظمى لوقا (وقد كتب مقالا بعنوان «إنى أتهم»).. وكانت هناك قصص يكتبها البير قصيرى وكان يكتبها بالفرنسية ثم نترجمها إلى العربية وبالرغم من ذلك فهى فى اعتقادى أول قصص عبرت عن الجو الشعبى وعن الاتجاهات الجديدة.. والمجموعة كلها كما نرى كانت مصرية وهذا هام جدا لكن كان هناك قليل جدا من الأجانب منهم ألبير قصيرى وسام كنتروفتش.

س: يتهم الكثيرون مجلة «التطور» بأنها كانت مجلة تروتسكية، لكننى قرأت فيها عدة مقالات تدافع عن الاتجاه السوفييتى.. فهل لديك تفسير لذلك..؟

ج: الحقيقة أننا لم يكن لنا خط واضح فى مجلة التطور، وفى المقال الافتتاحى لأول عدد أصدرناه، قلت: إن هذه المجلة ستكون بوتقة تنصهر فيها الأفكار المختلفة، لكن الخط

العام للمجلة كان الدفاع عن الحرية وعن حقوق الشعب الديمقراطية.. مع اتجاهات يسارية دون خط محدد.

وأذكر أننا هاجمنا فى أحد الأعداد الزينات التى أقيمت فى إحدى المناسبات الخاصة بالملك، عيد ميلاده أو عيد جلوسه لا أذكر.. وفى برواز فى صدر الصفحة كتبنا نقول «هذه الزينات فى الوقت الذى يجوع فيه الشعب».

وحول مجلة التطور تجمع عدد كبير من الشبان المصريين المتحمسين للإصلاح، وبدأت أشعر أننا بحاجة إلى حركة أكثر ارتباطا بمشاكل الجماهير.. وهكذا تزعمت مجموعة من أعضاء «الفن والحرية» لنكون ناديا جديدا أسميناه «الخبز والحرية».

س: هل كان معكم مارسيل إسرائيل فى هذه الحركة الجديدة؟

ج: لم يكن معنا أجانب مطلقا. والحقيقة أنه قد حدثت محاولات عديدة من جانب العناصر الأجنبية للاتصال بنا منذ أن كنا فى «الفن والحرية» وكانت هناك محاولات للاندماج معنا، لكننى لم أكن أرتاح إليهم ولم أكن أتصور أن أجنبيا مهما كان إخلاصه يمكنه أن يصبح زعيما لحركة شعبية مصرية، وكنت أرى أنه يتعين على حركتنا أن تكون مصرية شعبية وإذا كان هناك أجنبى مخلص للقضية فعليه أن يقدم مساعداته وخدماته من الخارج.

ويذكرنى ذلك بمقال نشره عبد المغنى سعيد فى مجلة الثقافة العمالية منذ عدة أشهر قال فيه: إننى عندما كنت رئيسا لتحرير التطور خضعت لأموال هنرى كورييل وأنه نصحنى فى ذلك الحين بالابتعاد عن كورييل. وهذا الكلام غير صحيح على الإطلاق.

س: لدى تقرير كتبه مارسيل إسرائيل عن تاريخ الحركة قال فيه صراحة: إنه هو الذى أسس «الخبز والحرية» فما رأيك فى هذا؟

ج: لا جدال فى أن مارسيل اتصل بنا، وحاول أن يؤثر فينا لكننى وزملائى جميعا صممنا على أن تكون «الخبز والحرية» حركة مصرية ١٠٠٪.

ولم يكن مارسيل إسرائيل وحده هو الذى حاول ذلك فقد حاول كورييل وشوارتز وآخرون الاتصال بنا لكننى رفضت ذلك رفضا قاطعا حتى إنهم بدأوا يتهموننى بالشوفينية.

وفعلا مارسيل اتصل بنا لبضعة أشهر وحاول أن يؤثر فينا. لكنه لم يتزعمنا مطلقا وبعد عدة أشهر أوقف اتصالاته بنا.

وأود أن تتصور حقيقة أوضاعنا فى ذلك الحين.. كانت هناك تيارات عديدة وغير واضحة.. الاتحاد الديمقراطى.. حركة العداء للسامية وحركات وأندية وجماعات أخرى عديدة أجنبية وغير واضحة الاتجاه، ولم نكن نفهم ماذا يريدون بالضبط.. وكان طبيعيا أن نتشبث نحن بمصرية الحركة ١٠٠٪ ورفض أى أجنبى.

س: هل كانت «الخبز والحرية» تنظيما ماركسيا؟

ج: فى البداية كانت مجلة «التطور» مجرد مجلة تستهدف التقدم والدفاع عن الحرية والديمقراطية ولم نكن قد اطلعنا على المراجع الماركسية ولم تكن متاحة فى مصر فى ذلك الحين، لكنها بعد ذلك وصلت إلى أيدينا عن طريق جورج حنين ومارسيل إسرائيل ثم عن طريق كوربيل.

س: ماذا كان مصير مجلة التطور؟

ج: لم يصدر من المجلة سوى سبعة أعداد ثم توقفت.

س: لماذا توقفت؟

ج: كان جورج حنين هو الضامن المالى للمجلة وعندما انفصلت عن جماعة «الفن والحرية» سحب الضمان فسحب ترخيص المجلة وتوقفت عن الصدور.

س: ماذا حدث بعد تكوين «الخبز والحرية»؟

ج: استأجرنا مكتب «للخبز والحرية» كنا نعقد فيه اجتماعاتنا فقد كنا جمعية علنية لكن البوليس حاصر المكان ومنع أى إنسان من دخوله فاضطررت إلى تحويل مسكنى إلى مقر للجمعية وأخذنا نلتقى بالعديد من الشبان وطلبة الجامعات لنمارس نشاطا يساريا.

س: ما تقييمك «للفن والحرية»؟

ج: هناك حقيقة مهمة تستلفت النظر هى أن الاتجاه اليسارى المصرى نشأ فى البداية فى وسط الفنانين والكتاب وقد نشأ مرتبطا بالتيار السيريالى التشكيلى، وكان هناك لقاء غريب بين اليسارية وبين السيريالية فى الرسم والشعر، وفى اعتقادى أن الحركتين كانتا فى الجوهر تمردا على الأوضاع السائدة.

وفى عام ١٩٤٠ أقمنا معرضا تشكيليا أسميناه «المعرض الأول للفن الحر» وكان شعاره Et Apres «وماذا بعد» وقد نظمنا دعاية ضخمة لهذا المعرض وسط المثقفين ووزعنا عدة آلاف من الدعوات.

وقد استمر المعرض أسبوعين وزاره عدد كبير جدا من الناس وأذكر أن كلمة Et Apres كانت تتردد وسط مثقفى القاهرة كثيرا جدا فى هذه الأيام كنتيجة لتأثرهم بهذا المعرض.

س: بعد تكوينكم الخبز والحرية هل استمرت علاقاتكم بالفن والحرية؟

ج: انفصلنا.. ولكنا ظللنا أصدقاء..

س: من كان معك فى الخبز والحرية؟

ج: فتحى الرملى.. أحمد عبدالعزيز هيكل وأسعد حليم وآخرين.. لكن أسعد حليم لم يستمر طويلا معنا والحقيقة أن عددنا كان قليلا لكننا أحدثنا ضجة كبيرة وأمكننا أن نهز الفكر المصرى هزة عنيفة، ولو جمعنا عدد أعضاء كل المنظمات التى نشأت فى ذلك الحين لوجدنا أنه قليل جدا بالنسبة للأثر الفكرى الذى أحدثوه، فقد كان هناك فراغ فكرى عجزت البرجوازية عجزا تاما عن ملئه، وفى هذه الفترة قدمنا نحن فكرنا الجديد.

وقد ساعدنا على ذلك ارتباط التيار اليسارى بالموجة التقدمية فى الفن وأسلوب التعبير.

س: لدى سؤال أريد إجابة صريحة عليه: ما هى علاقاتكم بالتروسكية؟

ج: كان هناك أكثر من اتجاه وسط اليسار، كانت الغالبية ستالينية وعدد قليل تروتسكى وأذكر مثلا أنهم كانوا يقولون: إن جورج حنين تروتسكى وأعتقد أن هذا صحيح، لكن فكرا كهذا لم يكن من الممكن أن يظهر ويتبلور إلا من خلال تنظيم سياسى وجورج حنين لم يكون تنظيما سياسيا.

وأريد أن أشير إلى أن ارتباط هذه الموجة اليسارية بالفن والفنانين قد أعاق تحولها إلى تنظيم، فالفنانين عادة يحبون الدردرشة لكنهم لا يقبلون بسهولة الخضوع لقيود التنظيم.

س: أليست لديك أية معلومات عن التنظيمات التروتسكية أكثر من ذلك؟

ج: الحقيقة أننا كنا فى بداية الطريق للدراسة للنظرية، كنا يساريين لكن لم تتح لنا فرصة دراسة أفكار ستالين وأفكار تروتسكى والمفاضلة بينهما.. لكننى متأكد أن جورج حنين وقد كان أكثر اطلاعا كان له موقف محدد هو ولطف الله سليمان وأعتقد أنهما كانا تروتسكيين.

س: ما علاقتك بعادل كامل وبشخصيات قصته «مليم الأكبر»؟

ج: لقد نشأت هذه العلاقة بالصدفة.. فقد قبض علىّ كمُتهم أول فى قضية جماعة

«الخبز والحرية» وظللت محبوسا تحت التحقيق لمدة عشر أشهر ولم أوكل محاميا للدفاع عنى فاختارت المحكمة أحد المحامين وكان عادل كامل.. وقرأ المحامى أوراق القضية والمضبوطات وتأثر بها، وأذكر أنه أعد دفعا ممتازا بعدم الاختصاص وقد قبلت المحكمة هذا الدفع.

ومنذ عدة أشهر شاهدت عادل كامل فى برنامج تليفزيونى يقول: إن قضيتى قد غيرت مجرى حياته لكننى لا أخفى عليك أننى لم أقرأ قصة «مليم الأكبر».

س: مرة أخرى أريد أن أرجع إلى سؤال أريد عنه إجابة محددة.. هل كان مارسيل إسرائيل عضوا فى «الخبز والحرية» أم لا؟

ج: أقطع أنه لم يكن عضوا، لكنه حاول لفترة من الوقت أن يسايرنا وفشل..

س: هل كانت الخلافات بينك وبين المجموعات الأخرى محصورة فى موضوع مصريين وأجانب؟

ج: لم يكن هذا هو الخلاف الوحيد، بل كان هناك خلاف جذرى آخر هو أنهم كانوا يسعون إلى تأسيس منظمات سرية ذات صبغة شيوعية أما أنا فكنت أرى ضرورة تأسيس حركة علنية والاستفادة من الإمكانيات القانونية وكنت أجهد نفسى بحثا عن تكييف قانونى، فالاشتراكية مثلا لا يعاقب عليها القانون ولهذا قلت: إننا اشتراكيون ولسنا شيوعيين.

وقد قبض علىّ عدة مرات وفى كل مرة كنت أعترف أننى أسعى إلى تغيير نظام الحكمة وإقامة الاشتراكية لكنى كنت أؤكد أننى أسعى للتغيير بالطرق المشروعة.

وكنت أقول: إن هناك مادة فى الدستور تبيح نزع الملكية للمصلحة العامة إذا ما رأى البرلمان أن المصلحة العامة تقتضى تأميم وسائل الإنتاج فإن ذلك من حقه وفقا للدستور.

وكان مسلكى هذا سببا فى تناقض شديد مع الآخرين.

س: هل هذا هو سبب ضعف التنظيم الذى سعيت لإنشائه ثم انهياره؟

ج: لا.. لكن السبب هو أننى اعتقلت مرات كثيرة جدا فى الفترة من ١٩٤٠ حتى ١٩٤٦ كنت أقضى شهرين أو ثلاثة أشهر بالخارج ثم اعتقل شهورا عديدة، وخلال وجودى فى السجن كان الأجانب ينتهزون هذه الفرصة لاجتذاب العناصر التى أجمعها حولى فأعود لأبذل جهدا فى اختيار عناصر جديدة. وبعد قليل اعتقل من جديد..

س: هل لك ملاحظات على دور الأجانب فى الحركة الشيوعية؟

ج: الشىء الذى أريد أن أؤكده هو أنه كانت هناك عناصر مصرية متفجرة ومتطلعة إلى التغيير والبيئة المصرية كانت تخلق هذا فى نفوسنا بصورة موضوعية وليس صحيحا أن الأجانب هم الذين أحدثوا هذا التفجر أو هذا الاتجاه نحو اليسار، فأنا والتلمسانى وكثيرين من المصريين اتجهنا يسارا دون أن تكون لنا علاقة بالأجانب.

وأنا لا أستطيع أن اتهم هؤلاء الأجانب، لكنى فقط أرفض تصميمهم على قيادة حركة مصرية والغريب أنهم لم يكتفوا بالمشاركة فى الحركة وإنما كانوا يصممون على قيادتها.

وأود أن أذكر هنا حقيقة هى أن مارسيل لم يكن كالآخرين فلم يكن يريد أن يتزعم الحركة.

س: مرة أخرى أريد الرجوع إلى موضوع التروتسكية هل تذكر شيئا بخصوصها؟

ج: لقد حدثت تطورات بعد الفترة التى تحدثنا عنها.. فجورج حنين ورمسيس يونان تسلما «المجلة الجديدة» من سلامة موسى واستمرا فى إصدارها عاما ونصف بصورة عادية وبعد ذلك تحولت فجأة إلى مجلة تروتسكية سافرة وبدأت فى مهاجمة الستالينية وفى تقديم أفكار تروتسكى.

س: وسلامة موسى هل كان ينظم مجموعة؟

ج: لا.. إنما جمع حوله مجموعة من المريدين والمؤمنين بأفكاره وإن كان لم يسع إلى تكوين تنظيم.

انتهى النقاش

(*) أنور كامل: أحد مؤسسى تجمعات اليسار المصرى فى الثلاثينيات وتتميز محاولته بأنها فى جوهرها محاولة مصرية صرفة بعد صدام مع القوى الأخرى. وتحت تأثير علاقاته الشخصية بعناصر تروتسكية أصبح تروتسكيا، وفى منتصف الأربعينات توقف عن النشاط ثم أصدر بعد ذلك كتيبا يهاجم فيه الشيوعية ويصفها بأنها أفيون الشعب.

تقرير مارسيل إسرائيل (تشيريزى)(*)

(١) بدايات الحركة العمالية فى مصر

وبينما كانت الحركة العمالية لا تزال تخطو خطواتها الأولى، كان هناك عاملان مساعدان، الأول هو بعض العناصر ذات الاتجاهات الماركسية بين العمال الأجانب فى مصر (وبالأخص الأرمن واليونانيين) ومن المعروف أن اللجان النقابية الأولى فى مصر كانت تضم بعضا من العمال الأجانب المتأثرين بالماركسية.

وكان هناك أيضا الكثير من المهاجرين الروس الفارين من الاضطهاد القيصرى (ومعظمهم من اليهود) وكان بعضهم من البلاشفة (وكان لينين خلال إقامته فى فرنسا وسويسرا يجد أنه من الأفضل للتهرب من تعسف الرقابة القيصرية أن يستخدم بعض أصدقائه فى مصر كوسطاء فى مراسلاته مع روسيا).

أما العامل الثانى فى مساعدة الحركة العمالية المصرية فهو المساندة التى حصلت عليها الحركة الوليدة من الحزب الوطنى الذى أسسه مصطفى كامل والذى كان محمد فريد خليفته فى قيادة الحزب برجوازيا تقدميا بالفعل وكان الحزب الوطنى يساعد الحركة العمالية فى الداخل ليزداد قوة فى صراعه ضد الإمبريالية وعملائها الإقطاعيين أما فى

الخارج فقد كان يسعى للحصول على مساندة الحركة الاشتراكية العالمية (أو على الأصح لقد قبل بارتياح المساندة التى كان من الطبيعى أن تقدمها له هذه الحركة). وقد ضم مؤتمر الحزب الوطنى الذى عقد فى بروكسل ١٩١٢[١] مدعوين من أغلبية الأحزاب الاشتراكية الأوروبية وكان لاختيار الزعيم العمالى الإنجليزى الكبير كير هاردى فى الرئاسة الشرفية للمؤتمر مغزى خاص بالنسبة لحزب يناضل ضد إنجلترا.

.....

وعشية الحرب ولدت حركة ماركسية بين بعض المثقفين المتأثرين بثورة أكتوبر وبالحركات الاشتراكية خصوصا فى ألمانيا وإنجلترا (حيث كان الكثير من الطلاب المصريين يستكملون دراساتهم).

وهؤلاء المثقفون - الذين كانت أفكارهم عن الماركسية مشوهة بتأثير الاشتراكية الديمقراطية الألمانية والإصلاحية الإنجليزية - اشتركوا مع بعض الماركسيين الأجانب المقيمين فى مصر (وبالأخص يهود من أصل روسى) فى العمل من أجل تأسيس الحزب الاشتراكى المصرى.

ولا يجب أن نقلل من تأثير ثورة أكتوبر على الحركة الوطنية المصرية التى كان جناح كامل منها (يتكون فى الأساس من العمال ومن مثقفى الطبقة الوسطى) يتخذها منارا له.

وخلال الثورة الوطنية تأسست بعض السوفيتيات فى بعض القرى ولكنها دمرت بواسطة القوات البريطانية، ويكفى القول هنا بأن الجنرال البريطانى ويلسون الذى كان فى ذلك الوقت على رأس قوات التدخل فى القوقاز قد كتب فى أحد تقاريره إلى الحكومة الإنجليزية ناصحا بالانسحاب الفورى من الأراضى السوفييتية بهدف التركيز على الدفاع عن بعض أجزاء الإمبراطورية (وهى الهند ومصر) من تهديد التأثير البلشفى.

وسرعان ما نشأ داخل الحزب الاشتراكى اتجاهان أحدهما (بزعامة محمود حسنى العرابى) اتخذ مسارا ثوريا، بينما كان الاتجاه الثانى إصلاحيا.

(٢) نشأة الحزب الشيوعى المصرى وتطوره (١٩٢٢- ١٩٣١)

فى عام ١٩٢٢ قرر الجناح اليسارى من الحزب الاشتراكى المصرى الاشتراك فى

المؤتمر الرابع للدولية الشيوعية. وأوفد محمود حسنى العربى إلى موسكو، وشارك العرابى ايجابيا فى أعمال المؤتمر وقدم تقريرا عن أهداف ونشاط الحزب الاشتراكى المصرى، وجاء فى تقرير المؤتمر أنه قد تكونت لجنة لمناقشة ذلك التقرير انتهت إلى أن الجناح اليسارى للحزب الاشتراكى المصرى تتوفر فيه جميع الشروط اللازمة للانضمام إلى الدولية الشيوعية - تحت تحفظ بأن ينفصل عن الجناح الإصلاحى وينظم نفسه كحزب شيوعى - ويبدو أنه قد وجهت إلى العرابى نصيحة بأن يبادر فور عودته إلى مصر بعقد مؤتمر يدعى فيه جميع التجمعات والشخصيات ذات الأفكار الثورية الموجودة خارج الحزب بهدف تأسيس الحزب الشيوعى وتحديد برنامجه.

ولكن لم يقدر لهذا المؤتمر أن ينعقد[٢] وانفصل الجناح الموالى للعرابى عن الإصلاحيين ووضع برنامجا للحزب واعتبر فرعا مصريا للدولية الشيوعية. وأخذ الحزب على عاتقه مهمة تنظيم النقابات، وسرعان ما نجح فى توحيدها فى اتحاد عام (كان سكرتيره صفوان عضوا فى اللجنة المركزية للحزب فى نفس الوقت)[٣] وكانت الإسكندرية هى الموقع القوى للحزب حيث كانت وقتذاك المركز الرئيسى للصناعة فى مصر.

وكان محمود العرابى قد ترجم إلى العربية أحد أعمال ماكدونالد؟[٤] ثم وضع كتيبا حول النقابات دورها.

ولم يكن الحزب غير شرعى بل إن برنامجه قد نشر فى الصحافة المصرية فى أوائل ١٩٢٤ (بما فى ذلك الجريدة شبه الرسمية وهى الأهرام).

وكان الحزب ضعيفا جدا فى الكوادر الماركسية وأهمل عمليا تكوين كوادر جديدة.

وقد قام شخص يدعى رفعت بترجمة كتاب لينين «الدولة والثورة» ولكنه مدعيا شرح وتفسير كل جملة من جمل لينين قد حول إحدى روائع النظرية الماركسية إلى رطانة غير مفهومة.

ولم يهتم الحزب - على عكس المفروض - بالمسألة الفلاحية، وهى مسألة كان يجب أن تكون فى بلد زراعى كمصر المحور الأساسى لنشاطه مما عزله عن الجماهير العريضة فى مصر.

وبطبيعة الحال فإن الحزب كان يناضل ضد الاستعمار ولكنه لم يعتبر ذلك واجبه الأساسى، الأمر الذى أدى بالضرورة إلى عزلته عن الحركة الوطنية وتركها فى أيدى البرجوازية (الممثلة أساسا فى حزب الوفد).

.....

.....

وكانت مصر (بعد تصريح فبراير ١٩٢٢) مستعمرة من الدرجة الثانية (كان ستالين قد صنف مصر فى خطابه الشهير أمام جامعة كادحى الشرق على أنها مستعمرة من الدرجة الثانية).

وأمام النمو المتزايد للحزب الشيوعى وتأثيره المتعاظم على الطبقة العاملة قررت الإمبريالية والبرجوازية العميلة توجيه ضربة قاسية له، وسهل لهم هذه المهمة (كما يحدث دائما) تطرف الحزب الشيوعى الناشئ.

وفى عام ١٩٢٤ وخلال معركة دائرة فى الإسكندرية من أجل مطالب عمالية أطلق الحزب نداءً بالإضراب العام المصحوب باحتلال المصانع وتضمن النداء إيحاءات مليئة بالعصيان والثورة. ونفذ عمال الإسكندرية توجيهات الحزب والاتحاد العام بحماس، واحتلوا مصنع الشركة الأهلية للغزل بالإسكندرية وهو مصنع يضم عدة آلاف من العمال ورأسماله أجنبى (أساسا إنجليزى).

وتدخل الاستعمار البريطانى مستندا إلى أحد التحفظات الاربعة الواردة فى تصريح فبراير ١٩٢٢ وهو التحفظ الخاص بالمحافظة على المصالح الأجنبية وأرسل مذكرة إلى الحكومة المصرية التى كان يرأسها فى ذلك الوقت سعد زغلول مطالبا بوضع حد لهياج العمال مهددا بالتدخل المباشر للقوات البريطانية.

وخضع سعد زغلول للضغط البريطانى، وبعد أن أجلى العمال عن المصانع مستخدما الوعود الكاذبة، انقلب على الحزب الشيوعى وأعلن أنه أصبح غير مشروع واعتقل قادته (العرابى، صفوان، أنطون مارون وعددا كبير من الشيوعيين).

وأعلن بالإضافة إلى ذلك حل اتحاد النقابات. وحكمت المحكمة على عدد من المتهمين بالسجن ثلاث سنوات مع الشغل وعلى البعض الآخر بعقوبات أقل.

وعقب إضراب عن الطعام قام به المسجونون احتجاجا على نظام الحبس الانفرادى الذى فرض عليهم فى سجن الحضرة بالإسكندرية فقد أنطون مارون ألم وأخلص قادة الحزب حياته. وكان بذلك أول شهداء الحركة الشيوعية المصرية.

وكانت الأحكام التى صدرت ضد قيادات الحزب الشيوعى المصرى موضوع بيان أصدرته الدولية الثالثة تدعو فيه جميع الأحزاب الشيوعية فى العالم إلى الاحتجاج على الإرهاب، وإلى التضامن مع المحكوم عليهم.

وكانت تلك الضربة ذات نتائج غاية فى الخطورة بالنسبة للحزب، فلم يكن الحزب يضم كوادر ثورية حقيقة (والذين سجنوا كانوا -برغم قلة خبرتهم- هم الوحيدين الذين يمتلكون بعض الخبرة).

ولم يكن الحزب مستعدا للعمل السرى، وكان معزولا عن الحركة العامة للجماهير، ولم تكن له أية صلة بالفلاحين، وصلته بالطبقة العاملة لم يكن قد توفر لها الوقت الكافى لتقوى.. هذا بالإضافة إلى أن تجربة الإسكندرية المتطرفة بما صاحبها من فشل ونتائج سيئة قد أصابت نفوذ الحزب وسط جماهير العمال أنفسهم، وقد انتهز الوفد الفرصة فشكل على الفور منظمة عمالية تحت قيادته.

أما سكرتير الحزب محمود حسنى العرابى (وكان قد حكم عليه بالسجن ثلاث سنوات) فقد سعى فى فترة تالية إلى إلقاء مسئولية الإضراب والعصيان الذى وقع بالإسكندرية على الدولية الشيوعية وادعى أنه قد صدرت إليه تعليمات بأن يتولى قيادة تنظيم الإضراب شخص موفد من قبل اللجنة المركزية للكومنترن، وسواء كان قد تلقى مثل هذه التعليمات أم لا (يجب أن نتذكر أنه كان يوجد - فى ذلك الوقت - عدد كبير من عملاء تروتسكى فى صفوف الدولية الشيوعية التى كانت فى تلك الفترة تحت قيادة الخائن زينوفيف) فإن مسئولية محمود العرابى فى ذلك ليست ضئيلة، وعلى أية حال فإنه قد انتهى بأن أصبح عشية الحرب العالمية الثانية وخلالها رئيس الطابور الخامس النازى فى مصر.

لكن الحزب الشيوعى المصرى لم يتحطم تماما فى ١٩٢٤ بل استمرت الكثير من خلاياه فى مختلف المدن المصرية. وأعاد الحزب تنظيم نفسه، وكون لجنة مركزية جديدة ومن وقت لآخر كان بعض العمال يرسلون إلى مدرسة الكوادر فى موسكو، وقد أصدر الحزب ووزع عددا من الكتيبات. وكان الحزب على صلة بالحزب الشيوعى الفلسطينى، وظل باستمرار فرعا معترفا به من قبل الدولية الشيوعية، كذلك انضمت إلى الحزب التجمعات الشيوعية لليونانيين والأرمن، وانضم إليه عدد من المثقفين المصريين.

وفى بعض الأحيان كان يقبض على أعضاء من الحزب ويحكم عليهم بالسجن، وكان نشاط الحزب سريا تماما ولا يبدو أنه استطاع بأى شكل من الأشكال استغلال أية إمكانيات للنضال المشروع[٥].

وباختصار واصل الحزب حياته فى وجه صعوبات بالغة.

وعندما خرج محمود حسنى العرابى من السجن اقترح أن ينسحب الحزب من الدولية وطالب باتخاذ مواقف ذات مضمون انتهازى.

.....

.....

وبعد ذلك عين عامل يدعى عبد العزيز كان قد تلقى دراسته فى موسكو فى منصب سكرتير الحزب، وكان ترشيحه بناء على توصية من مناضل يونانى قديم يدعى ياناكاكس.

وتحت قيادة عبد العزيز أصيب الحزب بضربات عنيفة، فأكثر كوادره وقياداته إخلاصا كانوا يقبضون عليهم أو يختفون بطريقة غامضة، بل يبدو أن أحد مبعوثى الدولية الشيوعية قد اختفى هو أيضا لدى مروره بمصر والبعض الآخر (.....[٦]) قبض عليه وسجن أو طرد من البلاد.

ولم يكتشف أمر عبد العزيز كعميل للبوليس السياسى المصرى إلا حوالى ١٩٣١. أما ياناكاكس فبالرغم من عدم توجيه أى اتهام إليه إلا أنه طرد من الدولية الشيوعية لترشيحه لعبد العزيز. وظل حتى وفاته يساعد الحركة الشيوعية فى مصر بعد أن أعيد تنظيمها، ولكنه رفض الانضمام إليها تمشيا مع قرار الدولية الشيوعية الصادر ضده.

أما عبد العزيز فقد أحس بخيانته فيما بعد ومات ميتة بائسة وهو نصف مجنون.

وقد نجحت الخيانة من الداخل فى أن تحيق بالحزب ما فشلت فيه الاضطهادات والملاحقات من الخارج.. فلم يعد للحزب وجود فعلى بعد ذلك ولم يعد معترفا به كفرع للدولية الشيوعية، وبذلك كسبت الإمبريالية البريطانية والرجعية المصرية الموقعة الأولى فى المعركة.

وبالرغم من جو الصمت المطبق الذى أحيط بالحزب من قبيل جميع المؤرخين فإن هذا الحزب قد ترك لدى بعض فئات العمال والمثقفين كثيرا من مشاعر الحنين.

وفوق ذلك فإن هذا الحزب بالرغم من أخطائه وما صادفه من تعاسة يشكل خبرة نضالية هامة عمرها عشر سنوات كان من الضرورى دراستها على أساس من التحليل الموضوعى والنقد البناء والاستفادة منها فى المرحلة الجديدة فى الحركة الشيوعية، لكن ذلك لم يتم للأسف الشديد.

(٣) نشأة الجماعات الماركسية الأجنبية ونشاطها (١٩٣٤- ١٩٣٩)

خلال سنوات عديدة ظلت مصر محرومة من أى نشاط شيوعى فعلىّ، وإن كان قد ألقى القبض ذات مرة على عدد من الشيوعيين الأرمن. ويبدو أن بعض أعضاء الحزب القدامى فى الإسكندرية كانوا جميعا معروفين للبوليس؛ بسبب خيانة عبد العزيز - قد احتفظوا بصلتهم مع بعضهم البعض دون أن يمارسوا أى نشاط.

وفى ١٩٣٤ قامت جماعة من الماركسيين الأجانب فى الإسكندرية بتأسيس جمعية أسموها «رابطة أنصار السلام» La Ligue Pacifste وسرعان ما تأسست جمعية مماثلة بالقاهرة وكان أغلبية الأعضاء من اليونانيين واليهود من مختلف الجنسيات. وكان المحرك الحقيقى وراء هذا النشاط بول جاكو دى كومب وهو سويسرى كان على صلة بالدولية وبالحزب الشيوعى الفرنسى.

وقد انضمت الرابطتان إلى «التجمع العالمى للسلام»

Rassemblement Universel Pour La Paix

وقد استطاعت هذه الجماعة الماركسية أن تنمى من نشاطها بشكل محدود خلال عدة سنوات، لكن نشاطها المحددو هذا اقتصر على أوساط الأجانب (حيث كان يقيم فى مصر إقامة دائمة حوالى ربع مليون أجنبى معظمهم مستقرون فى القاهرة والإسكندرية).

وقد اتصفت هذه الجماعة بما يلى:

أ- اقتصر نشاطها على الأجانب. وهم أجانب يقيمون فى بلد مستعمر يخضع لنظام الامتيازات الأجنبية، الأمر الذى جعل منهم فى واقع الأمر دولة داخل الدولة، وكانوا معزولين إلى حد كبير جدا عن باقى السكان، ولم يكونوا يعرفون إلا القليل جدا عن واقع مصر الاقتصادى والاجتماعى والسياسى، وباستثناء عدد محدود جدا كانوا لا يعرفون اللغة العربية.

ب- كان الأعضاء اليونانيون فى هذه المجموعة يشكلون فى واقع الأمر إحدى خلايا الحزب الشيوعى اليونانى. أما باقى الأعضاء فقد كانوا بحكم ثقافتهم الفرنسية مرتبطين عاطفيا وسياسيا بالحزب الشيوعى الفرنسى.

ج: هؤلاء الماركسيون الأجانب لم يكن لديهم فى واقع الأمر أية خبرة فى النضال الشيوعى (لا من وجهة النظر السياسية ولا من وجهة النظر التنظيمية) وبحكم أنهم تقريبا

قد ولدوا جميعا فى مصر وأمضوا بها حياتهم فلم يكن بإمكانهم أن ينفلوا إلى الحركة الثورية المصرية خبرات النضال الدولى للبروليتاريا.

وقد تسلط على أذهان هذه المجموعة شبح المصير المحزن للحزب الشيوعى المصرى (الذى خانه اثنان توليا سكرتيريته على التوالى) الأمر الذى دفعها إلى انتهاج موقف شديد التطرف يتسم بالتشكك فى كل الناس.

وبدلا من أن تنفتح هذه المجموعة على الجماهير متمسكة بيقظتها فإن هذه المجموعة قد نهجت نهجا حلْقيا وانغلقت على نفسها بصورة شديدة بحيث لم تفتح أبوابها خلال أكثر من عشر سنوات إلا لعدد قليل جدا من الأجانب.

ولم تتحول هذه المجموعة المغلقة إلى تنظيم (له خلايا وقيادة) إلا عام ١٩٤٥.

ولكن الخطأ الأكبر الذى ارتكبته هذه المجموعة كان فى تبنيها لتحليل غير صحيح يقوم على أساس أن فشل الحزب الشيوعى المصرى السابق كان نتيجة لأن الظروف الموضوعية فى مصر لم تكن قد نضجت لقيام مثل هذا الحزب.

وهكذا وبدلا من تحليل التجربة الأليمة، وبدلا من أن تصبح المشكلة المباشرة هى إعادة تنظيم الحزب الشيوعى المصرى (أو إعادة تأسيسه) فإن هذا التجمع الماركسى الأجنبى قد تجاهل الخبرات السابقة وتبنى خطأ ينادى بأنه يتعين على مصر أن تمر خلال تطورات اقتصادية وسياسية طويلة قبل أن تصبح الطبقة العاملة المصرية جديرة بتكوين حزبها، وحتى يتم ذلك فإنه يتعين على الماركسيين أن يؤلفوا تجمعا صغيرا مغلقا (كما حدث فى روسيا القيصرية قبل المؤتمر الثانى للحزب الاشتراكى الديمقراطى) وأن يكونوا بالتدريج جناحا يساريا لحزب الوفد (بما يشبه حزب المؤتمر الهندى) وظلت هذه الفكرة سائدة حتى عام ١٩٤٨- ١٩٤٩ لدى جماعة «الفجر الجديد» وهى الجماعة التى تولدت عن هذا التجمع الماركسى الأجنبى.

وهذه الفكرة التى تخلت عن مهمة إعادة بناء الحزب وتجاهلت أهمية وضع برنامج ولوائح واستراتيجية وتاكتيك (وهو ما يمكن اعتباره منشأ ما اتصفت به الحركة الشيوعية المصرية من تلقائية) ولكنها أيضا أدت إلى نشأة ما تعانيه الحركة الشيوعية المصرية من مظاهر الانقسام الدائم حتى اليوم[٧].

وقد كانت السنوات الخمس السابقة على الحرب العالمية الثانية من الناحية الدولية ومن الناحية المحلية سنوات مواتية تماما من وجهة النظر الموضوعية لنمو حركة ثورية مصرية.

.....

.....

بينما كان هذا التجمع الماركسى الأجنبى الذى لم يكن يوجد غيره فى ذلك الوقت يعيش بعيدا تماما عن الواقع المصرى ويجهل كل شىء عن الجماهير المصرية، وظل منغلقا على نفسه فى أبراجه العاجية وليس له ميدان نشاط حقيقى سوى الأوساط الأجنبية فى مصر لكنه كان يمكن اعتباره فى واقع الأمر فرعا للحزب الشيوعى الفرنسى، فقد كان ينقل مبادئه كما هى دون أى اعتبار للواقع الموضوعى فى مصر.

وفى مثل هذا المناخ الذى كان مواتيا من الناحية الموضوعية لنشوء تنظيم شيوعى قوى فإن غياب التنظيم الذى يمكن اعتباره بؤرة تتبلور حولها هذه التيارات الماركسية قد أدى بها إلى أن انبثقت فى وقت واحد تقريبا الواحدة تلو الأخرى.

وسرعان ما خاضت هذه التيارات الجديدة صراعات عنيفة ضد بعضها البعض، كل منها يدعى أنه وحده الثورى والبلشفى بينما الباقون انتهازيون ومنشفيك أو تروتسكيون.

ومنذ ١٩٣٤- ١٩٣٥ حتى نهاية ١٩٣٨ كانت الجماعة التى يقودها بول جاكو دى كومب هى الجماعة الوحيدة الموجودة فى مصر، واتخذ نشاطها شكل العمل من خلال رابطة أنصار السلام التى كانت تنظم مؤتمرات فى القاهرة والإسكندرية (يحضرها ما يقارب الخمسين شخصا من الأجانب) وكانت تصدر نشرة باللغتين اليونانية والفرنسية (متضمنة من حين لآخر مقالا باللغة العربية) وكانت أيضا تنظم حفلات موسيقية ورحلات.

وتجدر الإشارة أيضا إلى أنهم قد قاموا بدعايه جيدة للأسبان الجمهوريين فى الأوساط الأجنبية فى مصر. وجرت فى الإسكندرية محاولة لتجنيد بعض الشبان المصريين وضمهم للمجموعة، لكن كل ما أسفرت عنه هذه المحاولة من نتائج أنه قد تجند شخص واحد (ما لبث أن أبعد بعد فترة عن المجموعة). أما أكثر المحاولات جدية فكانت تلك المحاولة التى سعت إلى عقد صلات مع عدد من النواب الوفديين. وبالتعاون معهم عقدت ثلاثة لقاءات عامة لرابطة أنصار السلام فى القاهرة والإسكندرية. وبالإضافة إلى ذلك تكونت لجنة فخرية للتجمع المصرى من أجل السلام ضمت عددا من المصريين (وكان سكرتيرها العام بول جاكو دى كومب). ولكن هذه المحاولات وإن كانت لا بأس بها إلا أنها لم تؤد إلى نتيجة إيجابية لأن التجمع الماركسى ظل أجنبيا صرفا ليس فقط من حيث

تركيبه العضوى وإنما أيضا من حيث الخط الذى يحكم نشاطه. وفى واقع الأمر فإنه كان يقدم نفسه للمصريين باعتباره تجمعا للأجانب الديمقراطيين وليس تجمعا مصريا.. وعلى سبيل المثال حين ألغيت الامتيازات الأجنبية فى مصر، صدر منشور باللغة الفرنسية والعربية يحمل توقيع «الأجانب الديمقراطيون» يحيى باسم الاجانب الديمقراطيين فى مصر إلغاء الامتيازات الأجنبية ويؤكد للشعب المصرى صداقة الأجانب.

وفى عام ١٩٣٧ قام أحد الأعضاء الإيطاليين فى رابطة أنصار السلام بالقاهرة (مارسيل إسرائيل) – وكان عضوا فقط فى رابطة السلام ولكنه بالرغم من كونه ماركسيا إلا أنه لم ينضم للمجموعة الماركسية التى كان يتزعمها بول جاكو دى كومب– قام بزيارة لبنان واتصل بالحزب الشيوعى اللبنانى وناقش مع بعض قادته نشاط رابطة أنصار السلام فى مصر، وقد نال هذا النشاط نقدا قاسيا من قبل هذه القيادات بسبب سماته الأجنبية التى لا تمت بصلة إلى مصر، وقد قدمت هذه القيادة اللبنانية النصح بضرورة أن تكون المهمة الأساسية لهذه (...[٨]) فى مصر هو تكوين ماركسيين من بين الطلاب والعمال المصريين.

وقد كلفت هذه القيادات مارسيل إسرائيل بأن يظل على اتصال بالحزب السورى اللبنانى وعين مراسلا فى مصر لجريدة الحزب «صوت الشعب».

وعندما عاد مارسيل إسرائيل إلى مصر ناقش بول جاكو دى كومب فى هذه الموضوعات وكان رد «دى كومب» بأن عليه أن يهتم فقط بالنشاط فى رابطة السلام، ونظرا لمعرفته باللغة العربية فقد طلب إليه أن يعمل على ضم مصريين إلى رابطة أنصار السلام.

وحتى هذه المحاولة المتواضعة منيت بالفشل بسبب عدم الثقة التى كانت تبدو دائما من قبل غالبية أعضاء الرابطة الأجانب تجاه أى عضو مصرى جديد. وسرعان ما تكون داخل الرابطة تيار ينادى بالتمصير وينتقد قيادتها (دى كومب) لموقفه المناهض للتمصير، وكان الحديث بطبيعة الحال يجرى فى الظاهر حول رابطة أنصار السلام وإن كان يعنى فى واقع الأمر مسألة تمصير النشاط الماركسى.

وكانت المعركة الحاسمة تدور حول حادث مخجل: فعقب اتفاقية ميونيخ صدر بيان عن قيادة أنصار السلام لا يضع فى الاعتبار الواقع المصرى.

وانتقد أنصار التمصير هذا الخط الأجنبى للبيان واقترحوا نصا آخر يدين اتفاقية

ميونيخ، ولكنه يتحدث عن القضية الوطنية المصرية، ولكنهم هوجموا من قبل القيادة واتهموا بأنهم تروتسكيون وأجبروا فى واقع الأمر على ترك الرابطة.

وكان هناك سبب آخر أقل أهمية وهو رفض الرابطة قبول عضوية عدد من الإيطاليين المناهضين للفاشية بحجة أنهم مشاغبون وأن قبولهم قد يؤدى إلى تدخل البوليس (وكان هذا حقيقيا إلى حد ما).

وفى بداية ١٩٣٩ تكون فى القاهرة والإسكندرية تجمع جديد باسم «الاتحاد الديمقراطى» وكان مؤسسوه هم أنصار التمصير من الأعضاء السابقين فى رابطة أنصار السلام بالإضافة إلى مجموعة الإيطاليين المناهضين للفاشية وبعض المصريين الذين اتصلوا برابطة أنصار السلام ثم تركوها لإحساسهم بالغربة داخلها.

وقد تضمنت لوائح الاتحاد الديمقراطى نصوصا تقول بأنه يتعين أن تكون غالبية اللجنة القيادية من المصريين. ولكن الشىء الهام هو أنه قد تكونت خلف الاتحاد الديمقراطى (كتجمع قانونى) جماعة سرية ماركسية (تتكون هى الأخرى من الأجانب وحدهم)، وحددت هذه الجماعة مهمتها الرئيسية بجذف أكبر عدد ممكن من الشبان المصريين إلى الاتحاد الديمقراطى بهدف تجنيد أفضل العناصر من بينهم كأعضاء فى الجماعة الماركسية السرية.

وبالإضافة إلى ذلك تقرر إخضاع الواقع المصرى لتحليل اقتصادى وسياسى واجتماعى. وكانت هذه هى المحاولة الأولى لوضع نصائح القيادات الشيوعية اللبنانية موضع التطبيق.

ونظرا لأن جميع أعضاء هذا التنظيم الماركسى الجديد لم يكونوا يعلمون بوجود تجمع ماركسى بقيادة بول جاكو دى كومب فقد اعتبروا أنفسهم أول تجمع ماركسى منظم فى مصر بعد اختفاء الحزب، ولم يعلموا إلا بعد فترة أن ثمة جماعة ماركسية أخرى قد سبقته إلى الوجود.

ورغم أن هذا التجمع الجديد يعتبر خطوة إيجابية بالمقارنة بالتجمع الأول «نظرا لتبنيه خط التمصير» إلا أنه كان فى واقع الأمر يقصف بكثير من صفات التجمع القديم.. فقد كان مكونا فقط من المثقفين الأجانب ذوى المعرفة المحدودة جدا بالواقع المصرى والذين لا يمتلكون أى خبرات عن العمل الثورى، كما أنه قد ارتكب نفس الخطأ الفادح الذى ارتكبه

سلفه وهو تجاهل خبرات وتجارب الحزب الشيوعى المصرى وعدم اعتبار أن إعادة بناء هذا الحزب هى المهمة المباشرة والواجب العاجل.

ولم يبذل أى جهد لوضع برنامج ولائحة وخط إستراتيجى وتكتيكى وكان التمصير - أو كما أصبح يسمى فيما بعد تكوين الكوادر الماركسية المصرية - يعتبر فى رأيهم عملية طويلة المدى وسابقة على مهمة إعادة بناء الحزب.

وكان ذلك هو الطريق إلى التصفية والتلقائية والانقسام.

وتضمن برنامج الاتحاد الديمقراطى نفس ما تضمنه برنامج رابطة أنصار السلام مؤتمرات ديمقراطية ومناهضة للفاشية، أحاديث تقدمية عن الثقافة.. إلخ، ولكن على نطاق أكثر اتساعا مع اجتذاب عدد كبير من المثقفين والطلاب المصريين.

وقد عقد حفل الافتتاح برئاسة المدير العام لدار الكتب (وكان أيضا محاضرا بالجامعة) وبناء على شكوى من السفارة الإيطالية داهم البوليس الاجتماع لمنع أحد الإيطاليين من الحديث فتنازل هذا الأخير عن كلمته حتى لا يتسبب فى إفشال حفل الافتتاح.

وقد حضر الحفل أكثر من ٤٠٠ شخص من بينهم عدد كبير من المثقفين والطلاب المصريين.

وقد طلب الاتحاد الديمقراطى الانضمام إلى رابطة أنصار السلام ولكن طلبه ظل بدون إجابة «وهو ما يساوى الرفض». ومن ثم أعلنت الحرب بين الاتحاد الديمقراطى ورابطة أنصار السلام أو بالأحرى بين الجماعتين الماركسيتين اللتين توجهان كل منظمة منهما.

وتخطت هذه الحرب حدود مصر وعرضت على الحزب الشيوعى الفرنسى ومنظمات دولية مهمة مثل اللجنة الدولية لمعاداة الحرب والفاشية.

وفى أغسطس ١٩٣٩ عشية الحرب قرر المكتب السياسى للحزب الشيوعى الفرنسى - بالاشتراك مع سكرتارية اللجنة العالمية لمعاداة الحرب والفاشية - عقد لجنة فى باريس للاستماع إلى ممثلى كلتا الجماعتين والتحقيق فى الاتهامات المتبادلة ووضع حد للخلاف بينهما.

وكانت هذه هى المحاولة الأولى من قبل الحركة الشيوعية فى الخارج للمساعدة فى توحيد الحركة الماركسية فى مصر (فى مصر وليس المصرية ذلك أنها كانت مكونة من أجانب) لكن اشتعال الحرب أدى إلى إضاعة هذه الفرصة.

وخلال السنوات الأولى للحرب غيرت رابطة أنصار السلام اسمها وأصبح الاسم الجديد «جماعة الدراسات» le groupe etudes ومارست هذه الجماعة نشاطا تقدميا فى إطار ثقافى بحت وموجه دوما للأوساط الأجنبية.

وعلى العكس من ذلك فإن الاتحاد الديمقراطى قد نما وسرعان ما خضع لتطورات وتقلبات كبيرة فالمجموعة الماركسية التى كانت توجه نشاطه من خلف ستار قامت من الناحية العملية بسحب أفضل عناصرها من هذا التجمع العلنى لكى يركزوا نشاطهم فى إنشاء مدرسة سرية لتدريس الماركسية للمصريين الذين جندوا أثناء ترددهم على الاتحاد الديمقراطى. وبالإضافة إلى ذلك فإن هذه المجموعة قررت تكوين تجمع علنى للفنانين والمثقفين المصريين سُمى «الفن والحرية» Art et liberte وهو تجمع ما لبث أن وقع تحت تأثير التروتسكيين.

وقد أدى هذا التشتيت فى الجهود إلى أن فقد هذا التجمع الماركسى سيطرته على الاتحاد الديمقراطى تحت تأثير قادم جديد هو هنرى كورييل الذى حوله إلى دائرة...[٩] (أو كما قيل وقتذاك إلى اتحاد أرستقراطى).

ولكن هذا التجمع الماركسى كان فى طريقه إلى أن يعيش تطورا سالمًا يفتتح به مرحلة جديدة فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية.

(٤) تمصير الحركة الماركسية (١٩٣٩- ١٩٤٥)

ركزت المجموعة الماركسية التى تكونت عام ١٩٣٩ نشاطها على التكوين الماركسى للعناصر المصرية التى تم تجنيدها سواء عن طريق الاتحاد الديمقراطى أو عن طريق «الفن والحرية»، ونظمت دراسات سرية فى الماركسية باللغة العربية، وأعدت كتابا دراسيا باللغة العربية ليكون أساسا لتلك الدراسات.

وفى خلال عدة أشهر فقط استطاعت هذه المجموعة أن تجند وتنظم العديد من المصريين، وهكذا وبسرعة فائقة أصبح المصريون أغلبية فى صفوفها.

وفى ١٩٤٠ قررت هذه المجموعة أن تتحول إلى منظمة شيوعية وعقدت مؤتمرا تم فى خلاله مناقشة عدة تقارير حول الموقف العالمى والموقف فى مصر وتقرير عن التنظيم (قدمه مصرى كان يعيش فى فرنسا وكان عضوا فى الحزب الشيوعى الفرنسى) وسميت المنظمة التى أعلن تأسيسها «منظمة تحرير الشعب» liberation du peuple وانتخبت لجنة

تنفيذية (ضمت ثلاثة من المصريين بالإضافة إلى الإيطالى مارسيل إسرائيل) ونظم الأعضاء فى خلايا وتم وضع برنامج للعمل.

وكانت منظمة تحرير الشعب هى أول تنظيم شيوعى فى مصر بعد اختفاء الحزب القديم، وكانت منظمة بدائية ليست لديها خبرة حقيقية بتراث الحركة العالمية؛ وكان المستوى الثقافى لا بأس به ولكن دون أية خبرة فى العمل السرى.

ورأت المنظمة أن الاتحاد الديمقراطى الذى خرج من تحت سيطرتها لم يعد يتلاءم مع أهدافها فقررت أن تسحب أعضاءها منه خاصة وأنه قد تحول إلى النشاط الاجتماعى. وفى نفس الوقت قامت العناصر الشيوعية داخل «الفن والحرية» بشن هجوم ضد العناصر الفوضوية والتروتسكية وأدى ذلك إلى إغلاق «الفن والحرية» وحلت محلها لجنة (بدون مقر) لتنظيم معارض سنوية للفنون التشكيلية.

كما قام أعضاء تحرير الشعب بوضع أيديهم على مجلة «التطوير» وأصدروها باسم «الفن والحياة» وحولوها من مجلة فوضوية وسيرالية إلى مجلة عمالية، وكانت بذلك أول مجلة يديرها الشيوعيون، لكنها لسوء الحظ لم يتسع أمامها الوقت لتدعيم تأثيرها فقد منعتها الرقابة بعد صدور عدة أعداد منها.

وبعد أن فقدت تحرير الشعب كل من «الاتحاد الديمقراطى»، و«الفن والحرية» كمنابر علنية كونت بدلا منها منبرين علنيين آخرين هما «الخبز والحرية» (والذى اختير اسمه بوحى من معارضة المثقفين الفوضويين فى اختيارهم لاسم «الفن والحرية» أما التجمع الثانى فسمى «ثقافة وفراغ» culture et loisirs واقتصر التنظيم الأول على المصريين (اتباعا لخط التمصير ولكى يبعدوا عن الحركة التقدمية المصرية التهمة التى كانت قد التصقت بها بأنها ذيل للأجانب) وكان مقر «الخبز والحرية» يقع فى أحد الأحياء الشعبية بالقاهرة (على العكس من التجمعات التقدمية الأخرى التى كانت تتخذ مقرا لها فى الأحياء الأوربية من المدينة) وسرعان ما اجتذبت «الخبز والحرية» كثيرا من العمال وخاصة عمال الطباعة، ومارست «الخبز والحرية» نشاطا متعدد الجوانب يجمع بين العمل السياسى الديمقراطى والدعاية النقابية والنشاط الثقافى واصطبغ كل ذلك بطابع يسارى واضح. ومنذ البداية تدخل البوليس ودون أن يغلق المقر أصدر قرارا بمنع الاجتماعات العامة بداخله وسرعان ماعرفت «الخبز والحرية» فى بعض الأوساط العمالية «وخاصة عمال الطباعة» وفى أوساط الطلاب كتنظيم شيوعى مما أكسبها شعبية كبيرة.

لقد كان الاحتلال البريطانى لمصر الذى اتخذ أشكالا سافرة خلال الحرب، بالإضافة إلى الغلاء الفاحش سببا فى دفع قطاعات كبيرة من العمال والطلاب إلى التعاطف مع الاتحاد السوفييتى والشيوعية.

وفى ١٩٤١ أصدرت «الخبز والحرية» نشرة عن الحركة النقابية وأشير فيها إلى الدور الذى لعبه الحزب الشيوعى المصرى القديم فى تنظيم النقابات والدفاع عن مصالح الطبقة العاملة، فأغلق البوليس مقر «الخبز والحرية» ولكن التجمع ظل موجودا.

أما الدراسات الماركسية والتى كانت حتى ذلك الوقت قاصرة على المثقفين المصريين فقد امتدت لتشمل بعض العمال الذى جندوا من داخل وحول «الخبز والحرية».

وللأسف فإن هذه الدراسات كانت تدور حول مسائل أيديولوجية معقدة وليست لها صلة مباشرة بالاحتياجات النضالية.

أما تجمع «ثقافة وفراغ» وهو التجمع الآخر الذى أنشأته الجماعة السرية «تحرير الشعب» فقد اقتصر فى البداية على الأجانب ولكن نشاط الخبز والحرية أدى بعدد من المثقفين والفنانين المصريين إلى التردد على مقر «ثقافة وفراغ» وأخذوا يمارسون فيها نشاطا وتأثيرا متزايدا. وقد أغلق البوليس مقر «ثقافة وفراغ» فى منتصف عام ١٩٤١.

أما الاتحاد الديمقراطى الذى أصبح تحت قيادة هنرى كورييل فقد كان يتردد عليه أيضا بعض المثقفين المصريين وأصدر صحيفة باللغة الفرنسية اسمها «دون كيشوت» نشرت بعض المواد التى تحمل طابعا فوضويا وتروتسكيا.

أما «جماعة الدراسات» فقد استمرت تحت قيادة بول جاكوب دى كومب فى نشاطها الثقافى الشديد الحذر والشديد الانغلاق مما جنبه متابعة البوليس.

لكن الجماعة الماركسية التى كان يقودها كروييل كانت قد توصلت هى أيضا إلى إقامة بعض الصلات مع بعض المصريين وبدأت فى تثقيفهم ثقافة ماركسية.

ولقد استمرت الحرب ين هذه التجمعات الثلاث، كل منهم يتسلط أخطاء الآخرين لكى يتهمهم بالانتهازية والتروتسكية، وأيضا بالعمالة للبوليس.

وفى اليوم الذى غزت فيه قوات ألمانيا الهتلرية أراضى الاتحاد السوفييتى وجه تنظيم «تحرير الشعب» الدعوة إلى جميع التقدميين فى مصر لبذل جهود مشتركة دفاعا عن الاتحاد السوفييتى. وقد تمت الدعوة بشكل علنى عن طريق «الخبز والحرية» التى وجهت

الدعوة إلى التجمعات العلنية الأخرى «ثقافة وفراغ» و«جماعة الدراسات» و« الاتحاد الديمقراطى» وحتى «الفن والحرية» (التى كانت تتمتع بتأثير على أوساط الرسامين والنحاتين المصريين) واستجابت كل هذه التجمعات للدعوة باستثناء «جماعة الدراسات» التى رفضت بعناد أى تعاون مع الآخرين.

وبالفعل عقد اجتماع مشترك واتفق فيه على برنامج للعمل المشترك.

وكانت هذه هى المحاولة الثانية لتوحيد الماركسين فى مصر (الأولى حدثت فى باريس فى أغسطس عام ١٩٣٩ ولكن رفض جماعة الدراسات، لفكرة التعاون (بالرغم من أنها كانت قاصرة فقط على الدعاية للاتحاد السوفييتى» بالإضافة إلى الضربات البوليسية التى سرعان ما وجهت إلى قيادة «تحرير الشعب» قد أفشلت هذه المحاولة.

وكان أعضاء «تحرير الشعب» على درجة كبيرة من النشاط والإيجابية، لكن حماسهم سرعان ما أفقدهم الحذر ودفعهم إلى الإهمال فى قواعد الأمان. وعقب توزيع المنشور الخاص بالحركة النقابية قرر البوليس السياسى (بناء على أمر من المخابرات البريطانية) الهجوم.

وفى أكتوبر ١٩٤١ قبض على عشرة من أعضاء التنظيم وألقوا فى السجن.

وأدى تحقيق النيابة إلى انتفاء ما يبرر إقامة الدعوى (ذلك أن التشريع القديم المضاد للشيوعية لم يعدل إلا فى عام ١٩٤٦) ومن ثم أطلق سراح جميع الأعضاء بعد شهرين، ماعدا الإيطالى مارسيل إسرائيل الذى أرسل إلى أحد معسكرات الاعتقال الخاصة بالفاشست.

واستأنف أعضاء «تحرير الشعب» نشاطهم بعد خروجهم من السجن. وتبنوا تكتيكا جديدا وهو إصدار صحيفة علنية توسع من نطاق حركتهم فاشتروا صحيفة كان يصدرها لسنوات طويلة كاتب ليبرالى[١٠] وهى «المجلة الجديدة» وبدأوا يقومون -عن طريقها- بدعاية ماركسية استمرت طوال سنتين.

الأمر الذى جعلها منبرا لجميع المثقفين الطليعيين وأسهمت بالكثير فى نشر الماركسية بين الطلاب وبعض الفئات المتقدمة من البروليتاريا.

وكان يمولها ويشرف عليها الإيطالى «ريمون أجيون».

وقد أحدث العدد الخاص الذى صدر منها حول انتصار ستالينجراد دويا كبيرا.

وفى أوائل ١٩٤٢ صدرت صحيفة يمولها «هنرى كورييل» اسمها «حرية الشعوب، وقد ساعد فى إصدارها بعض البرجوازين الوطنيين وقد بدأت هذه المجلة فى دعايات مناهضة للإمبريالية ولكن بشكل مهم وبانحرافات كبيرة نحو الشوفينية القومية.

ومن الطبيعى أن مجلتى «حرية الشعوب» و«المجلة الجديدة» لم تكونا على وفاق.

وفى يونيو ١٩٤٣ قبض البوليس على حوالى خمسين من المصريين من أعضاء وأنصار «الخبز والحرية» وظلت أغلبيتهم محتجزة دون محاكمة حتى نهاية ١٩٤٣ (بسبب القانون العسكرى).

وفى عام ١٩٤٣ تكونت جماعة ماركسية ثالثة تحت قيادة هنرى كورييل وهليل شوارتز وسيطرت هذه الجماعة على الاتحاد الديمقراطى الذى تصاعد نشاطه، وكانت هذه الجماعة على علاقة بالشيوعيين الإنجليز واليونانيين المجندين فى صفوف قوات الحلفاء المتمركزة فى مصر.

لكن هذه الجماعة سرعان ما انقسمت إلى مجموعتين جديدتين تحولتا فيما بعد إلى منظمتين كبيرتين «الحركة المصرية للتحرر الوطنى» (ويقودها هنرى كورييل)، «إيسكرا» (ويقودها هليل شوارتز).

وفى يوليو ١٩٤٣ وأثناء تقدم روميل المكتسح نحو مصر لجأ أغلب الشيوعيين الأجانب إلى فلسطين وهناك دخلوا فى علاقات مع الحزب الشيوعى الفلسطينى الذى دعا ممثلين من كل المجموعات لبحث أسباب الانقسام ولمحاولة توحيدهم، وحضر الاجتماع أعضاء من سكرتارية الحزب الشيوعى الفلسطينى.

وفى هذا الاجتماع أعلن أعضاء مجموعة بول جاكو دى كومب أن الظروف الموضوعية فى مصر لا تسمح بتأسيس حزب شيوعى، ولكن الحزب الشيوعى الفلسطينى رفض هذه الفكرة، وهذه المحاولة (وهى الثالثة) لتوحيد الماركسيين قد فشلت هى الأخرى بسبب العناد الشديد لجماعة بول جاكو دى كومب وإصرارها على اعتبار نفسها المجموعة الشيوعية الوحيدة فى مصر، هذا بالإضافة إلى سبب آخر يتمثل فى أن المحاولة نفسها قد جرت بشكل سطحى وبإشراف حزب كان هو نفسه خارجا لتوه من أزمة قاسية.

الهوامش

(*) مارسيل إسرائيل (تشيريزى): من أصل إيطالى، لعب دورا هاما فى النشاط اليسارى فى نهاية الثلاثينيات وفى الأربعينيات. والوثيقة المعروضة عبارة عن ترجمة لصفحات من تقرير مكتوب على الآلة الكاتبة باللغة الفرنسية وهو عبارة عن محاولة لتأريخ لحركة اليسار المصرى مرفوعة إلى قيادة الحزب الشيوعى الإيطالى كتبها مارسيل إسرائيل بعد إبعاده عن مصر مقدما نفسه إلى الحزب الشيوعى الإيطالى. وقد أوردنا النص كاملا باستثناء بعض صفحات لا تتعلق بموضوع الدراسة أو تناقش فترة لاحقة.

(١) الحقيقة أن هذا المؤتمر افتتح فى ٢٢ سبتمبر ١٩١٠ - المؤلف.

(٢) عقد هذا المؤتمر وهو المؤتمر الثانى للحزب فى ٦ يناير ١٩٢٣ - المؤلف.

(٣) الحقيقة أن الحزب قد نجح فى تأسيس الاتحاد العام للنقابات منذ أن تأسس كحزب اشتراكى فى أغسطس ١٩٢١ - المؤلف.

(٤) كتاب «الاشتراكية» - المؤلف.

(٥) أصدر الحزب فى ذلك الحين مجلة علنية اسمها «الحساب» كان يرأس تحريرها رفيق جبور عضو اللجنة المركزية للحزب - المؤلف.

(٦) غير واضحة الأصل.

(٧) كتب هذا التقرير فى أوائل الخمسينيات.

(٨) غير واضحة فى الأصل.

(٩) غير واضح فى الأصل.

(١٠) سلامة موسى- المؤلف.

محضر نقاش مع فتحى الرملى(*)
أجريت المناقشة بالقاهرة فى ٤-٥-١٩٧٥

الاسم: محمود فتحى عبد الله فكرى الرملى.

الشهرة: فتحى الرملى.

تاريخ الميلاد: ٢٨- ٧- ١٩١٩.

المهنة: صحفى.

س: كيف بدأت نشاطك السياسى؟

ج: كنت عضوا فى مصر الفتاة، وأنا طالب فى مدرسة المنيا الثانوية..

وقبل أن أدخل المدرسة الثانوية كنت طالبا فى المدرسة الصناعية فقد دخلت قسم النقش لأننى أهوى الرسم ثم ما لبثت أن اكتشفت أن الدراسة فى هذه المدرسة لا تشبع هوايتى فتركتها إلى المدرسة الثانوية حيث عجزت فيها عن سداد المصروفات، فأنا من أسرة فقيرة، وكانت أمى تعانى الكثير فى الإنفاق علينا بعد وفاة أبى، وكانت تستدين مصروفات المدرسة فقررت أن أترك المدرسة.. وأذكر أن أول عدد رأيته من «الصرخة» كان عبارة عن ورقة واحدة بحجم الجريدة العادية وهى عبارة عن منشور آثارى بعنوان «عشر سنوات من العمل من أجل مصر» واستهوتنى هذه الشعارات وانضممت لمصر الفتاة.

وبعد فترة من النشاط المتحمس استدعانى وكيل المديرية لمقابلته وكان اسمه إبراهيم فهمى السيد بك وفوجئ وكيل المديرية بى وأنا شاب صغير السن وفوجئ أكثر بأننى دخلت عليه وقد علقت فى سترتى شعار مصر الفتاة (الأهرامات الثلاثة المكتوب تحتها: الله. الوطن. الملك) وهاج بشدة لأننى تجرأت ودخلت عليه والشعار على سترتى واعتبر ذلك تحديا له واستدعى أحد الجنود وأمره بإيداعى الحبس والغريب فى الأمر أننى شعرت بحماس غريب وفخر لأننى دخلت السجن وعوملت معاملة الزعماء.

وفى هذه الفترة أيضا أصدرت منشورا سياسيا بعنوان «أرقام مخيفة» عبارة عن كلام إنشائى، نقلته أساسا من خطاب ألقاه هيكل باشا فى البرلمان.

كان يتضمن أرقاما مثل ٧٠٪ من أبناء الفلاحين معرضين للسل. وبعد ذلك سلسلة من الشعارات الحماسية تدعو الشعب إلى الثورة واستدعتنى النيابة أنا وزملائى وفوجئ وكيل النيابة وكان اسمه معروف محمد بأننا شبان صغيران لا نزال نرتدى الشورت وكان من بيننا شاب هو ابن أخ يسن باشا أحمد النائب العام فى ذلك الحين، وقد أسهم هذان العاملان فى حفظ القضية.

لكن البوليس قدر ضرورة إبعادى من المنيا وفعلا نفيت من المنيا ورحلت إلى القاهرة وكنت سعيدا بذلك أيضا لأننى سأنفى مثل الزعماء ولأن الحكومة سوف تتحمل نفقات سفرى..

وقبيل سفرى من المنيا كنت قد وجدت عملا فى مجلة إقليمية بالمنيا اسمها «الإنذار»، بدأت بمرتب ١٨٠ قرشا فى الشهر زيدت بعد عدة أشهر إلى جنيهين..

وهكذا فعند وصولى إلى القاهرة كنت أعتبر نفسى صحفيا، وبقيت فترة متعطلا، لكننى تقمصت دورى الصحفى وبدأت أكتب وأعرض كتاباتى على الصحف، وأذكر أننى أعددت موضوعا لآخر ساعة، وقابلنى مصطفى أمين وكان يعمل ساعتها مع التابعى فى آخر ساعة وأبدى إعجابه بالمقال ونشره فعلا لكنه لم يعطنى نقودا واعدا بإعطائى نقوداً فى المرة المقبلة، لكننى لم أعد إليهم واتجهت إلى مجلة منافسة لآخر ساعة اسمها «الشعلة المصورة» وهناك قابلت فرج جبران وكان سكرتير تحرير المجلة وشريكا لصاحبها واتفقوا معى على أن أعمل لديهم بالقطعة والمساحة أى أن أتقاضى أجرى وفقا للمساحة التى تنشر لى وقبلت لسببين: أولا لأنه لم يكن أمامى أى مورد آخر، وثانيا لأننى كنت سعيداً

بالعمل كصحفى.. وكنت قبل ذلك قد عملت فى مجلة مصر الفتاة وأغرونى بلقب سكرتير تحرير، لكن مرتبى كان «أذونات بريد» تأتى للمجلة سدادا للإعلانات وأذكر أن أقصى أجر حصلت عليه منهم كان عشرة أذونات بريد قيمة كل منها ٢٠ قرشا.

المهم أننى عملت فى مجلة الشعلة المصورة وهناك تعرفت بأسعد حليم.

س: كيف؟

ج: أسعد حليم هو ابن أخت فرج جبران، وذات يوم أحضره لى فرج جبران هو وأخوه حلمى حليم وقال لى: أسعد غاوى صحافة وحلمى غاوى سينما حاول أن تساعدهما واهتممت بأسعد وكان يترجم بعض المقالات فأقوم أنا بإعادة صياغتها بأسلوب صحفى، وبدأنا نتناقش أنا وأسعد حول الوضع السياسى ورويدا رويدا تكونت مجموعة من الاصدقاء أنا وأسعد حليم وصالح عرابى (سودانى) وعبد العزيز هيكل وموسى عبد الحفيظ (كان موظفا فى وزارة المعارف وأسس بعد ذلك شركات للإعلانات).. وأخذتهم جميعا وقابلنا مارسيل إسرائيل.

س: كيف تعرفت على مارسيل إسرائيل؟

ج: كنت عامل حركة فى مصر الفتاة تستهدف عزل أحمد حسين، وجمعت حولى عددا من الأعضاء يقاومون أحمد حسين ولا يعترفون بزعامته، وكنا نحاول عزله ونرشح فتحى رضوان للزعامة، أى أننا كنا نريد استبدال فاشستى بفاشستى آخر، وبعد فترة أحسسنا أن فتحى رضوان يتحدث فى واد آخر بعيدا عن مشاكل الشعب، والحقيقة أن مصر الفتاة كانت مجموعة متناقضة متنافرة وعلى صفحات المجلة انعكس هذا التناقض فمثلا أحمد حسين يحرر صفحة ملتهبة تتحدث عن المقاومة والعنف والقوة، بينما يحرر فتحى رضوان صحفة أخرى تتحدث عن غاندى وسياسة التسامح، ومن هذا التناقض نشأت حيرتنا.

وفى هذه الفترة التقيت بشاب نوبى اسمه بدر عوض وكان معنا فى مصر الفتاة وأنا كنت أسعى لضمه لمجموعتنا المناهضة لأحمد حسين.. وسألنى لماذا؟ فقلت لأنه فاشستى.. وفى هذه الأثناء كان بدر عوض هذا على علاقة بمارسيل إسرائيل وكان يحرضه أيضا على أحمد حسين وعلى حزب مصر الفتاة فقال له بدران: فى الحزب تيار جيد يقاوم القيادة ويتهمها بأنها فاشستية وطلب مارسيل أن يرانى، وذهبت إليه لأول مرة أنا وبدر عوض فى منزله بالقرب من وزارة الأوقاف، وبعدها أخذت له أسعد حليم، وصالح عرابى

وعبد العزيز هيكل وموسى عبد الحفيظ وبدأ مارسيل يدرس لنا النظرية الماركسية وكان هناك أنور كامل وبعد فترة انضم إلينا ثابت أمين وهو أخو إلهامى أمين(**).

س: كيف سارت الأمور بعد ذلك؟

ج: بعد فترة من الدراسة قال لنا مارسيل: أنتم درستم ويمكنكم أن تعملوا بأنفسكم وأسسنا جمعية «الخبز والحرية». لكننى لاحظت أنه برغم حديثه عن ضرورة تولينا أمور النشاط بأنفسنا إلا أنه مصمم على أن يضع الحركة تحت إشرافه وأحس مارسيل أن أهم شخصين فى المجموعة هما أنا وأنور كامل وحاول أن يكسبنا نحن الاثنين فاقترح أن يتولى كل منَّا منصب السكرتير واحد للشئون الداخلية وهو أنا وآخر للشئون الخارجية وهو أنور كامل.

واستأجرنا شقة من حجرتين فوق مطبعة الرغائب فى شارع محمد على وكانت إحدى الحجرتين واسعة وتصلح كصالة للاجتماعات، وفعلا قمنا أنا وأنور كامل بشراء حوالى ٦٠ كرسى ومكتب.

س: من أين أتيتم بالنقود؟

ج: تمويل ذاتى، كنا نجمع اشتراكات شهرية ادخرناها لعدة أشهر، واشترينا هذه الأشياء، وبعدها عقدنا اجتماعا للمجموعة لنبحث كيف نبدأ العمل فى جماعة «الخبز والحرية» وبدأ البعض يطالب بإخطار المحافظة بأننا قد كوَّنا جمعية حتى تأخذ وضعها القانونى، لكننى تمسكت بعدم إبلاغ المحافظة وقلت: إن علينا أن نمارس نشاطنا حتى نقف على أقدامنا وبعدها سيعلم البوليس بعد أن نضعه أمام الأمر الواقع، لكن إبلاغ السلطات منذ البداية معناه أننا ندعوهم كى يهدموا كل شىء، وبعد النقاش كانت الأغلبية معى لكنهم بعد الاجتماع اتصلوا بمارسيل إسرائيل الذى أيد الرأى الآخر وبعد يوم جاءوا جميعا وهم ضد رأيى.. وصممت على موقفى، وأبلغوا المحافظة بتأسيس الجماعة وحضر رجلان من رجال البوليس السرى - رابطا أمام مقر الجماعة يقومان بإحصاء عدد المتواجدين فى المقر حتى إذا ما بلغ خمسة أشخاص منعوا أى شخص آخر من الدخول على أساس أن القانون يعتبر أن اجتماع أكثر من خمسة أشخاص هو بمثابة تجمهر.. وفى هذه الأثناء وخلال أحد الاجتماعات قطع عنا النور؛ لأن جورج حنين كان قد سدد تأمين عداد النور ثم سحب التأمين ليمنعنا من النشاط وعندما أطفئ النور صحت فى

الحاضرين معلنا أن علينا أن نعتمد على أنفسنا.. وكانت الخلافات قد تشعبت بينى وبين المجموعة، وقد قررت أن أبدأ بداية جديدة فى مقر جديد وأسميت الجماعة «نحن أنفسنا» تحديا لمحاولات السيطرة علينا.

وهكذا أصبحت مستقلا عن مارسيل إسرائيل وجماعته، ودعيت إلى ما أسميته «أسبوع التفكير الحر» ودعوت عدة أشخاص كانوا معروفين بميولهم الليبرالية مثل د. إبراهيم ناجى وعبد المجيد نافع وغيرهما.

وبدأت فى هذه المرحلة حملة ضد إليهود وضد تواجدهم أو سيطرتهم على الحركة وألفت نشيدا ضدهم اتهمت بسببه بالشوفيتية وأذكر بعض كلمات النشيد وتقول:

فى أيـــامـــنـــا الـــســـود

خـــواجـــات ويـــهـــود

جـــمـــعـــوا المـلايـــين

واحـــنـــا شـــقـــيـــانـــين

وبعد ذلك أغلقت دارنا.. وقررت العمل بطريقة جديدة..

وبدأنا نجتمع فى قهوة بحى الفوالة أنا وزملائى ونطالع صحف اليوم ونبحث عن المحاضرات التى ستلقى فى هذا اليوم. ونذهب إلى هناك بحثا عن التجمعات ومناقشتها والادلاء برأينا من خلال هذا النقاش.. وأذكر أننا فى يوم قرأنا خبرا عن محاضرة لعبد الفتاح عنايت فى مقر جبهة مصر (تنظيم أنشأه على باشا ماهر) وذهبت أنا وعدد من زملائى ووزعتهم فى القاعة حتى يساندونى بالتصفيق والحماس من أكثر من مكان فى القاعة، وطلبت الكلمة وساندنى زملائى فى القاعة حتى سمح لى بالكلام، وفعلا وجدت فرصة للحديث وشرح وجهة نظرى وخرجت من المحاضرة ومعى معظم الجالسين الذين تبعونى إلى حيث ذهبت واستمرت مناقشاتى معهم إلى ما بعد منتصف الليل.

س: ما هى نوعية مجموعتك هذه؟

ج: كانت جماعة تسمى نفسها «الجبهة الاشتراكية».

س: هل كانت هذه الجبهة تنظيما بالمعنى المفهوم؟

ج: كانت شبه تنظيم.

س: ما معنى شبه تنظيم؟

ج: كنا مجموعة تعمل علنا وتنشط وتناقش دون أن تكون تنظيما بالمعنى المفهوم.

س: وما هى قصة ترشيحك فى الانتخابات؟

ج: فى الانتخابات البرلمانية ٤٤-١٩٤٥ انتهزت الفرصة السانحة وهى أن الوفد كان يعارض إجراء الانتخابات فى ظل الأحكام العرفية على أساس أنها ستتم تحت قهر السلطة بينما أحمد ماهر كان يقول بإمكانية إجراء الانتخابات فى ظل الأحكام العرفية وتعهد بعدم التدخل، لكن الوفد قاطع الانتخابات، وقررت أن أنتهز الفرصة وأرشح نفسى على المبادئ الاشتراكية، وكنت أول من تقدم للانتخابات البرلمانية فى مصر كمرشح اشتراكى، وأحدث ذلك ضجة كبيرة جدا وأحرجت الحكومة أيَّما إحراج، لكنها لم تستطع منعى من الترشيح.

س: من الذى مول عملية الإنفاق على الانتخابات؟

ج: جمعنا أموالا من الناس، أنا مثلا فى ذلك الحين كنت أدير معهد التعليم الصحافة بالمراسلة فأرسلت لتلاميذى خطابات أدعوهم للتبرع، وتحركت مجموعتى لمساندتى وجمعت أموال حتى من خصومى الذين هاجمتهم مثل هنرى كورييل، لكننى أقرر أن الذى أمدنا بمعظم المال الذى احتجنا إليه هو لطف الله سليمان(***).

س: فى أى دائرة رشحت نفسك، ومن هم المرشحون الآخرون فى نفس الدائرة؟

ج: دائرة محكمة السيدة [أقرب دائرة انتخابية لها الآن هى دائرة قصر النيل] وكان هناك عشرة مرشحين منهم أحمد حسين الذى ركز دعايته الانتخابية ضدى باعتبارى شيوعيا.

س: كم صوتا نلت؟

ج: ٣٢ صوتا.

س: فقط؟

ج: فقط.. ويجب أن تضع فى الاعتبار أنه كانت هناك مقاطعة للانتخابات من جانب الوفد..

س: نعود إلى الجبهة الاشتراكية، كيف واصلت العمل؟

ج: كما قلت لك من قبل، كنا مجموعة من الأصدقاء ننشط كلما أتيحت الفرصة أمامنا..

س: ماذا كانت علاقتك بالمنظمات الشيوعية؟

ج: كانوا حريصين على التباعد عنى، ويتصيدون أى أخطاء لى. وأذكر أننى أصدرت بالتعاون مع عبد الفتاح الشرقاوى (الحزب الشيوعى لشعوب وادى النيل) منشورا ضد هنرى كورييل نتهمه فيه بالصهيونية.. وقد أصدرت عدة نشرات ضدهم وزعتها علنا..

انتهت المناقشة

الهوامش

(*) تردد اسم فتحى الرملى كواحد من الدعاة اليساريين فى الأربعينيات، وقد بدأ نشاطه مبكرا فى حركة اليسار، وانسلخ منها مبكرا أيضا، وفى الوقت الذى بدأت فيه الحلقات الماركسية تتبلور فى منظمات شيوعية سرية، اتجه هو إلى تكوين حلقة أسماها الجبهة الاشتراكية اتسمت بالعفوية. وبرغم أن وثائق وزارة الخارجية البريطانية قد حاولت أن تضخم كثيرا من دوره إلا أنه يبدو أن هذا التضخيم كان متعمدا لإضفاء طابع معين على حركة اليسار ككل، وما لبث فتحى الرملى أن تورط فى كتابات معادية للشيوعية ولتنظيماتها فى مصر. ومع ذلك فقد تعمدت إجراء حوار معه استكمالا لكافة جوانب الصورة، وأيضا فإن هذا النقاش يوضح أسلوب وطبيعة نشاط وحقيقة وحجم ما سُمى بالجبهة الاشتراكية.. (المؤلف).

(**) إلهامى أمين شيوعى قديم حكم عليه بالسجن لفترة وفصل بعدها من عمله كموظف فى السكة الحديد، وعمل فى عام ١٩٣٠ مع حسنى العرابى ود. عبد الفتاح القاضى فى مجلة روح العصر وكان إلهامى أمين وثيق الصلة بحسنى العرابى. وقد أصدر مجموعة من مقالاته فى كتيب بعنوان «مقالات العرابى»- عنى بجمعها وترتيبها ونشرها إلهامى أمين- المطبعة الأميرية الكبرى. (المؤلف).

(***) لطف الله سليمان: تروتسكى النزعة مقيم حاليا فى باريس.

محضر نقاش مع أسعد حليم(*)
أجرى النقاش بالقاهرة فى ٢٠ أكتوبر ١٩٦٩

س: ما هى معلوماتك عن النشأة الجديدة للحركات الاشتراكية فى أواخر الثلاثينيات؟

ج: يمكن تقسيم الاتجاهات اليسارية فى ذلك الحين إلى اتجاهين أساسيين تروتسكيين يتزعمهم جورج حنين ورمسيس يونان وتركز نشاطهم العلنى وسط مجموعات الفنانين وفى إقامة المعارض، وإصدار نشرات، وفى جماعة الفن والحرية. وتجمعات ماركسية يتزعمها ثلاثة أشخاص:

- بول جاكو دى كومب وكانت مجموعته تضم أحمد رشدى صالح ويوسف درويش وآخرين واتخذت عددا من المنابر العلنية «لجنة نشر الثقافة الحديثة» و«مجموعة الدراسات» واتحاد أنصار السلام.

- وهنرى كورييل وقد أسس مع شوارتز مارسيل إسرائيل وبولا العلايلى وغيرهم النادى الديمقراطى ومن هذه المجموعة خرجت فيما بعد ح. م. وإيسكرا.

- ومارسيل إسرائيل وقد أسس «حركة تحرير الشعب».

غير أن هذه التقسيمات غير قاطعة؛ ففى المنابر العلنية اختلطت عناصر من المجموعات المختلفة، وفى لجنة نشر الثقافة الحديثة مثلا كان هناك أناس من «حركة تحرير الشعب»

وفى جماعة الفن والحرية كان هناك التروتسكيون وتحرير الشعب وتحسين المصرى (ج. م فيما بعد).

كل ذلك كان فى مطلع عام ١٩٣٩ وقبل نشوب الحرب.

س: أريد بعض التفصيلات عن جماعة «الفن والحرية».

ج: نشأت الفن والحرية كجماعة يغلب عليها الطابع الفنى وكان محركها الأساسى جورج حنين ومجموعة من الفنانين الأجانب وبعض المصريين (أنور كامل - كامل التلمسانى). وقد ركزت هذه المجموعة جهودها على نشر الفن السيريالى وأصدرت مجلة ذات أهمية تاريخية هى مجلة «التطور» وكان يرأس تحريرها انور كامل وأنا اعتقد أن هذه المجلة قد لعبت دورا هاما فى تطوير الفكر المصرى وأبرزت إلى الوجود الشكل الأدبى السيريالى وقدمت أشعارا وقصصا سيريالية لعدد من الكتاب السيرياليين لمع منهم رمسيس يونان.

س: لماذا السيريالية بالذات؟

ج: فى العالم كله كانت السيريالية تعبيرا عن التمرد على القوالب الكلاسيكية الجامدة. والحقيقة أن أعضاء الفن والحرية قد قاموا بنشاط كبير بحيث أصبحوا يمثلون قطاعا هاما فى الفن وشكلوا واحدا من أهم التيارات الأدبية وأحدثوا هزة عنيفة فى المفاهيم الفنية.

ولم تقتصر جهود الجماعة على إصدار المجلة وإنما أقاموا سلسلة من المعارض والندوات ومن خلال هذه الندوات برزت عدة شخصيات، رمسيس يونان، تحسين المصرى (وهو مهندس مصرى درس فى باريس وعاد متشبعا بالأفكار اليسارية) ومارسيل إسرائيل. واتفق هؤلاء الثلاثة على ضرورة تجميع عدد من خيرة المثقفين والتحدث معهم حول الماركسية واتفق كل واحد من الثلاثة على أن يكون مجموعة مستقلة لدراسة الماركسية.

س: كيف بدأت علاقتك المباشرة بالحركة؟

ج: كنت أنا وفتحى الرملى وصالح عرابى (سوداتى) نعمل فى مجلة وفدية اسمها «الشعلة» وكانت تطبع فى نفس المطبعة التى يطبع فيها أنور كامل مجلة التطور وتعارفنا ودعانا لحضور الندوات.

وبعد فترة ضم مارسيل فتحى الرملى إلى مجموعته الضيقة ولم أدع أنا. وحكى لى فتحى الرملى ما دار فى هذا الاجتماع المغلق حول دراسة الماركسية وفى الاجتماع التالى تحدث مارسيل عن أهمية السرية وضرورة عدم إبلاغ أى شخص بوجود مثل هذه الاجتماعات فقال الرملى: إنه فاتحنى فى الموضوع فعلا وهكذا اتفق على ضمى للمجموعة.

س: ما هو شكل هذه المجموعة؟

ج: مجرد مجموعة دراسية ولم تكن تنظيما بالمعنى المفهوم وحتى كانت بغير اسم.

س: كيف انقسمت الفن والحرية؟

ج: الحقيقة أن هذه المجموعة الضيقة التى شكلها مارسيل بدأت تنشط وكنا نحن شبانا نشيطين وبدأت الأفكار الماركسية تبهرنا فاندفعنا بكل قوتنا لجذب أكبر عدد ممكن من المصريين ومن العمال خاصة وبدأنا نحشد فى ندوات الفن والحرية عمالا وكادحين وخلق هذا رد فعل وبدأ التفاوت والتناقض واضحا، هم أغنياء أرستقراطيون وأجانب ومثقفون ونحن فقراء. وحدث تمايز، وبدأ قادة المجموعة لا يرحبون بحضورنا لكننا اعتبرناها مسألة كرامة وصممنا على الحضور فلم يسدد الأرستقراطيون رسم استهلاك الكهرباء وقطع التيار من النادى لكننا صممنا على الاستمرار وكنا نعقد ندواتنا على ضوء شمعة. ومن هنا برز التساؤل لماذا لا نؤسس ناديا خاصا بنا يكون مستقلا ومصريا ونستطيع أن نتحدث فيه بأفكارنا كاملة. وكان فتحى الرملى هو الذى اختار اسم «الخبز والحرية».

س: يقول مارسيل: إنه مؤسس «الخبز والحرية» ويؤكد أنور كامل أنه مؤسسها فما هى الحقيقة؟

ج: كلاهما صادق، نحن أسهمنا مساهمة إيجابية فى إنشاء «الخبز والحرية» وكان مارسيل يوجهنا ويقودنا، وأنور كامل كان الرئيس الرسمى، وكان مجلس إدارة الجمعية أنور كامل - د. عبد العزيز هيكل - أسعد حليم - فتحى الرملى - صالح عرابى - وبعد مدة ضممنا عبد العزيز هيكل إلى مجموعتنا الضيقة. وإذا كان مارسيل لم يضم اسمه كعضو فى مجس إدارة «الخبز والحرية» إلا أنه كان مسئولا عن ثلاثة أشخاص من مجلس الإدارة.

وكان مارسيل نشيطا فى اتجاهات عديدة فقد أسهم فى تأسيس جمعية أخرى يغلب عليها الأجانب، أنشأت ناديا أسمته «ثقافة وفراغ» وقد ضمت هذه المجموعة عددا قليلا من

المصريين منهم فوزى جرجس وكانت خطة مارسيل أن تعمل هذه المجموعة وسط المثقفين أما مجموعتنا فتعمل وسط العمال.

س: وما حدث للمجموعتين الأخريين؟

ج: رمسيس يونان استمر مع مجموعته لفترة قصيرة ثم تبعثرت، والحقيقة أن التروتسكيين كانوا شلة وليس تنظيما ولم يؤسسوا تنظيما حقيقيا وكانت لهم صلة ما بالدولية الرابعة لكن دون أن ينجحوا فى تأسيس تنظيم.

أما تحسين فقد استمر مع مجموعته لكنه سرعان ما انضم إلى النادى الديمقراطى ليشارك فيما بعد فى تأسيس ح.م.

س: وأنت هل شاركت فى تأسيسها؟

ج: لا..

س: يقول عبده دهب إنك كنت فى اللجنة المركزية للحركة المصرية؟

ج: لم يحدث، وأنا فى هذه الأثناء كنت أعمل مع مارسيل. وبعد مدة انقسمت «الخبز والحرية» فقد وقفنا ضد اتجاهات أنور كامل وخرجنا من «الخبز والحرية» لنكون تنظيما مستقلا ولم نسمه أولا ثم فيما بعد أسميناه «تحرير الشعب».

س: يقول مارسيل إسرائيل فى تقرير له: إنه مؤسس «تحرير الشعب» وإنه لعب دورا أساسيا فى هذه الفترة فما هو تقييمك لدوره؟

ج: هو فعلا مؤسس «تحرير الشعب» كان المحرك والمنظم الفعلى لنشاطنا، كان أكبرنا سنا وأوسع منا ثقافة وإدراكا. كانت الماركسية تبهرنا وكان مصدرها الوحيد هو مارسيل ومن هنا بهرنا به. والحقيقة أن مارسيل قد بذل خلال عام ١٩٣٩ جهدا خارقا فى تثقيف عدد من الكوادر المصرية. لقد ثقفنا مارسيل بسلسلة محاضرات ممتعة بذل جهدا كبيرا جدا فى إعدادها وكانت هذه المحاضرات تتضمن المادية والمثالية - المادية الجدلية - المادية التاريخية - تطور المجتمعات - المجتمع الرأسمالى وقوانينه - صراع الطبقات - الدولة - الحرب. إلخ.

انتهى النقاش

(*) أسعد حليم واحد من المصريين الأوائل الذين انضموا إلى التجمعات الاشتراكية فى أواخر الثلاثينيات وقد لعب دورا هاما فى فترات حاسمة وقد ارتبط اسمه و سم زوجته - أسماء البقلى - بكثير من أوجه النشاط المبكر.

محضر نقاش مع هنرى كورييل(*)

جلسة المناقشة الأولى
تمت المناقشة بباريس فى الأسبوع الأول من نوفمبر ١٩٦٨

س: ما هى معلوماتك عن نشأة الحركة الشيوعية فى الثلاثينيات؟

ج: فى بداية الثلاثينيات بدأت الحركة عن طريق عدد من الشيوعيين الأجانب كانوا إما أعضاء فى بعض الأحزاب الشيوعية الأجنبية أو متأثرين بها.. وكان كثير من هؤلاء المثقفين الأجانب مدرسين بالمدارس الابتدائية والثانوية(١).. وأذكر من بين هؤلاء المدرسين جورج بوانتيه وكان عضوا فى الحزب الشيوعى السويسرى.

وقد أبلغنى بوانتيه بذلك بنفسه، وقد كلفنى قبل سفره من مصر لينضم للفرقة الفرنسية فى الحرب العالمية الثانية أن أبلغ تقريرا لحزبه عن نشاطه لأنه ربما يموت فى الحرب وقد مات بوانتيه فعلا فى الحرب..

والحقيقة أن ظهور الفاشية قد أعطى دفعة قوية للحركة الشيوعية فى مصر(٢) كذلك كان الخط الذى تبناه المؤتمر السابع للكومنترن وهو المشهور باسم (خط ديمتروف) ينادى بتكوين جبهات شعبية واسعة للكفاح ضد الفاشية وقد ساعد هذا الخط فى القيام بحركة واسعة لمعاداة الفاشية.

وقد تجمع عدد من اليساريين الإيطاليين فى مصر وبدأوا نشاطا واسعا واستغلوا عددا من المنابر منها مثلا الجمعيات الماسونية..

ويمكن تصوير حركة الأحداث كما يلى: شيوعيون أجانب قادمون من الخارج (مدرسين فى الأساس) يتصلون بأجانب مقيمين فى مصر.. (وبعد ذلك بمدرسين مصريين) وعن طريق هؤلاء يتم الاتصال بقطاعات من المثقفين المصريين..

س: كيف بدأ النشاط الفعلى؟

ج: فى البداية لجأ الجميع إلى أسلوب تكوين نواد علنية تستهدف تجميع عدد من المثقفين حولها.

س: وأنت كيف أصبحت شيوعيا؟

ج: هناك أقوال إن أخى راؤول هو الذى جعلنى شيوعيا وهذا غير صحيح.. لكننى تأثرت تأثرا عميقا بالحركة الوطنية المصرية الجارفة فى عام ١٩٣٦..

وأول تصرف سياسى اتخذته هو أنه عندما بلغت سن الحادية والعشرين قررت اختيار الجنسية المصرية بدلا من الإيطالية.

وفى عام ١٩٣٧-١٩٣٨ اقتنعت بالماركسية وبدأت فى الاتصال بآخرين وفعلا اتصلت بجورج بوانتيه، راؤول كورييل (أخى) مارسيل إسرائيل وآخرين وبدأنا فى تأسيس الاتحاد الديمقراطى.. وكان معنا عدد من المصريين هم د. فؤاد الأهوانى ومحمد نصر الدين وكان مدرسا فى كلية البوليس.. واتخذ الاتحاد الديمقراطى مقرا علنيا له فى العمارة رقم ١ شارع سكة الفضل وقبل أن نتخذ هذا المقر عقد الاتحاد الديمقراطى أول اجتماعاته فى مقر إحدى الجمعيات الماسونية.

وعلى الفور بدأ الاتحاد الديمقراطى بنشاط واسع جدا وهذا هو الفرق بيننا وبين المجموعة الأخرى هم كانوا خائفين بينما انطلقنا نحن فى نشاط ماركسى واسع النطاق.

والحقيقة أن مهمتنا لم تكن سهلة فقد تحدثنا عن الشيوعية ثم سألنا أنفسنا: ما هى الشيوعية؟ وإذا بنا لا نعرف عنها شيئا..

والسبب أن الكتب الماركسية كانت نادرة جدا والشىء الغريب أنه كان مسموحا بالكتب التروتسكية أما الكتب الأخرى فلا.

وقد أصدرنا فى عام ١٩٣٨ نشرة اسمها «دون كيشوت»..

وعندما بدأت الحرب تبلور تياران أساسيان وأعتقد أنهما ظهرا فى كل المستعمرات وهذان التياران هما:

١- تيار يرى أن الأولوية يجب أن تعطى للخط المعادى للفاشية ومن ثم لا يستبعد التعاون مع الإنجليز على أساس أنه كان هناك تعاون بين الاتحاد السوفييتى والحلفاء.

٢- تيار آخر يرى الكفاح ضد الفاشية وضد الاستعمار معا وأنا كنت أؤيد هذا التيار.

وقد ظهرت هذه المشكلة كما قلت فى عديد من البلاد ومنها الهند، فعندما اصطدم غاندى ونهرو بالإنجليز اعترض الشيوعيون الهنود على هذا الموقف وخسروا كثيرا من هذا الموقف..

والحقيقة أنه بعد إعلان الحرب اتصلت بنا السلطات الإنجليزية وعرضوا علينا التعاون ووعدوا بتقديم مساعدات لنا لكننا رفضنا ولما فشلوا تماما فى استخدامنا لجأوا إلى تأسيس تنظيم خاصم بهم هو «إخوان الحرية».

وقد أدى الخط الذى سرنا فيه إلى الاصطدام بالإنجليز أثناء الحرب وقد بدأنا فى الاتصال باليساريين الإيطاليين وكانوا قد اعتقلوا أيضا مع بقية الإيطاليين وبدأنا فى تنظيم بعضهم داخل المعتقلات..

كذلك اتصلنا باليساريين اليونانيين فى الفيلق اليونانى.. ثم حدثت تطورات مهمة اثرت جدا فى مستقبل مصر وأثرت فىَّ أنا شخصيا.. وهذه التطورات المهمة هى أحداث يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ فهذه الحوادث دفعت الكثيرين إلى التيقظ وأعطت دفعة كبيرة للمسألة الوطنية وأبرزت مصر كبلد مستعمر لا إرادة له أهينت كرامته إهانة بالغة.

والحقيقة أن كثيرا من الشيوعيين المصريين لم يدركوا أهمية هذا الحادث ونظروا فقط إلى الجانب الإيجابى فيه وهو تولى النحاس باشا الحكم.

والى جانب أحداث فبراير ١٩٤٢ كانت هناك أحداث مهمة ألهبت مشاعر الجماهير فعندما اقترب روميل من العلمين أحست الجماهير بأمل قرب خروج الإنجليز.. وعندما هزم روميل فى العلمين... فهمت الجماهير أن الفاشية يمكن أن تهزم وتحطمت أسطورة الفاشية..

ثم جاءت معركة ستالينجراد التى أضفت الدعاية المعادية للسوفييت ورفعت اسم الاتحاد السوفييتى وسمعته لدى جماهير المصريين..

وفيما بعد كان اعتراف الحكومة المصرية بالاتحاد السوفييتى وتبادل العلاقات الدبلوماسية معه.. وأقيم معرض للكتاب السوفييتى.. إلخ.

وقد تجمعت هذه الأحداث مجتمعة لتشكل خطوة حاسمة فى تاريخ مصر وقد كانت الظروف مهيأة أمامنا تماما للعمل.. وبهذا انتقلت الماركسية من الحلقات والنوادى إلى العمل الجماهيرى.. وإلى التنظيم الجاد.

والحقيقة أن المشكلة لم تكن مشكلة تجنيد وإنما مشكلة تنظيم هذه الأعداد التى تجمعت حولنا.. كانت المسألة الأساسية هى أن نستفيد من الإمكانيات التى خلقها تطور الأحداث لتبدأ عملا جادا..

س: كيف بدأت الخطوة الحاسمة؟

ج: فى البداية كنا وحدنا.. ففى إبان حوادث فبراير وكانت القاهرة تموج بالمظاهرات طبعنا منشورا باللغة العربية.. قد وزعنا ٤٠٠٠ نسخة من هذا المنشور.

وفى هذه الأثناء قرر بوانتيه أن ينضم إلى الفيلق الفرنسى واستشهد فى ١٩٤٤ أثناء تحرير فرنسا.

وفى ١٩٤٢ وقبل معركة العلمين اعتقلنى الإنجليز وأرسلت إلى معتقل الزيتون وكان معظم المعتقلين من الموالين للفاشية.. وكان طبيعيا أن يكون هناك اتجاه معاد لى فى المعسكر فقد كنت الشيوعى الوحيد وكذلك بسبب يهوديتى.. والذى بدأ الهجوم علىَّ هو حسنى العرابى وكان قد أصبح فاشستيا صريحا..

وفى المعتقل استفدت فائدة كبرى؛ لقد مارست احتكاكا مباشرا وحادا مع كثير من السياسيين هم فى الأساس من أبناء البرجوازية الصغيرة..

وباختصار لقد أخذت فى المعتقل حمام تمصير.. وأحسست إحساسا عميقا أن البرجوازية الصغيرة تموج بحركة وطنية عارمة وأنه يتعين الاستفادة منها..

وأنا أعتبر أن فترة اعتقالى فى معتقل الزيتون كان فترة حاسمة فى حياتى..

وبعد فترة قصيرة اختفى العداء ضدى ونظمت إضرابا عن الطعام لجميع المعتقلين.. وأثناء الإضراب اعتدى البوليس السياسى على أحد المعتقلين المضربين فتراجع الباقون إلا أنا استمررت فى الإضراب عن الطعام حتى أفرج عنى.

وبعد ذلك خرجت من جو النوادى والحلقات ذات الطابع الأجنبى وبدأت على الفور فى

تأسيس حركة شيوعية منظمة.. وأسست ح. م.

واتصلت بمجموعة من المثقفين المصريين وانطلقنا فى عمل واسع سريع جدا ومنتشر.. فاتصلنا بعديد من العمال وبعمال الطيران والسودانيين والنوبيين.

وفى يناير ١٩٤٣ عقدت أول مدرسة كادر.. تولى التدريس فيها د. زكى هاشم، تحسين المصرى، جوماتالون، دافيد ناحوم والدمرداش التونى وأنا.

وكانت هذه المدرسة نقطة تحول مهمة فقد حضرها الكادر الأساسى الذى تولى قيادة الحركة فيما بعد ولهذا فقد اعتبرنا هذا اليوم هو تاريخ تأسيس ح. م.

س: هل اتصلتم بالشيوعيين القدامى؟

ج: اتصلنا بعدد منهم من بينهم الشيخ صفوان، عبد الرحمن فضل، ياناكاكس، د.حسونة، د. القاضى وكانوا خائفين فشجعناهم وضممناهم للعمل.

س: بعد أن أسست ح. م. هل استمر الاتحاد الديمقراطى فى العمل؟

ج: ظهرت مجموعة جديدة تقود الاتحاد الديمقراطى منهم عزرا هرارى، هليل شوارتز، سيدنى سلامون، إيلى ميزان وكنت مستمرا معهم.. وفى ١٩٤٢ تغير الاسم إلى المركز الثقافى والاجتماعى وفى ١٩٤٣ أغلق البوليس الدار.

س: ما هى معلوماتك عن مارسيل إسرائيل؟

ج: كان معنا فى الاتحاد الديمقراطى لكنه كان يسعى دائما لعمل تنظيمات جانبية وفى إحدى المرات دعانى إلى اجتماع لمجموعته وأحسست أنهم جميعا برجوازيون صغار ولم أستمر معهم.

س: هل كانت لكم علاقات بالكومنترن؟

ج: لا.. والحقيقة أنه لم تكن هناك علاقة لأحد بالكومنترن، والذى يؤكد ذلك أنه فى عام ١٩٤٣ مر أندريه مارتى بالقاهرة قادما من موسكو فى طريقه إلى الجزائر ليقيم هناك ممثلا للحزب الشيوعى الفرنسى.. وعند وصوله للقاهرة اتصل بمقر فرنسا الحرة وكانت زوجتى تعمل موظفة هناك فاتصلت به وحضر للإقامة عندنا فى المنزل.

وسألت مارتى عن الأوضاع فى الكومنترن وعن الموقف من النشاط فى مصر فقال لى: إنه قبل سفره تلقى تعليمات من الكومنترن بألا يتصل بأحد من الشيوعيين المصريين – أثناء مروره بالقاهرة – لأن فيهم عناصر بوليسية كثيرة.

س: من هم الأشخاص الذين تعتقد أن لديهم معلومات مفيدة وتنصح بمناقشتهم؟

ج: أنصحك بمقابلة أنور كامل – أسعد حليم – محمد نصر الدين – عبده دهب – صالح عرابى – دكتور الأهوانى.

(*) هنرى كورييل هو مؤسس الحركة المصرية للتحرر الوطنى ثم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى، وقد ظل مستولا لهذه الحركة حتى أبعد عن مصر بقرار من وزير الداخلية فى عام ١٩٥٠.

(١) كان تدريس اللغتين الإنجليزية والفرنسية يقوم به أساسا مدرسون أجانب خلال هذه الفترة.

(٢) فقد حرك كثيرا من اليهود للعمل ضد النازية ومن أجل إقرار الحقوق الديمقراطية.. كذلك دفعهم إلى الاهتمام بتأييد كل الحركات المناهضة للنازية وتأييد الجمهوريين فى إسبانيا.. وقد تغاضى الاحتلال الإنجليزى عن هذا النشاط لأنه موجه ضد الألمان. (هذا التفسير أدلى به كورييل فى نهاية النقاش).

هنرى كورييل
جلسة المناقشة الثانية - باريس ٢٥ يناير ١٩٧٠

س: سنحاول الآن مواصلة النقاش الذى أجريناه منذ عدة أشهر وأود أن أحصل على إجابات تفصيلية على عدة أسئلة أولها هو متى وكيف أصبحت ماركسيا؟

ج: عندما بلغت من العمر ٢١ عاما كنا فى عام ١٩٣٥ وكانت مصر تموج بالمظاهرات الوطنية المعادية للاستعمار وتحمست أنا أيضا لمصر وللمصريين وقررت أن أختار الجنسية المصرية فأنا مولود فى مصر من أب مولود فى مصر ومن حقى عندما أبلغ من العمر ٢١ سنة أن أختار الجنسية التى أريد وقررت أن أختار الجنسية المصرية ولم يكن هذا أمرا سهلا ولا مقبولا وسط المجتمع الأجنبى لأن معناه أن أفقد حقى فى الاستمتاع بالامتيازات الأجنبية.. وقد قاوم أبى ذلك بشدة لكننى أصررت على موقفى.

وكان أبى صاحب بنك وكنت أعمل معه وكثيرا ما كنت أزور عزبتنا فى الريف والحقيقة أننى كنت ألمس الفقر المنتشر فى المدينة لكن الفقر فى الريف كان غاية فى البشاعة. وتأثرت جدا بحالة الفلاحين وقررت أن أحاول إصلاح حال الفلاحين وكنت أنا وزوجتى نذهب مرتين أسبوعيا إلى عزبتنا القريبة من القاهرة.. كان معنا نقود ولنا أطباء أصدقاء أسهموا معنا فى المشروع لكننى اكتشفت بسرعة فشل المحاولات الإصلاحية.

وبدأت أبحث عن طريق آخر..

وفى أوائل ١٩٣٦ بدأت الحرب الأهلية فى إسبانيا وكان المثقفون الأجانب المستنيرون يتابعون أنباءها بعواطف تميل مع الجمهوريين. وبدأت أنا فى جمع تبرعات للجمهوريين وكان هذا أول نشاط جدى أقوم به.. وتعاقبت أحداث مهمة.. مثل حرب الحبشة والحرب الصينية وغيرها وبدأت عينى تتجه فى اتجاه اليسار.

وفى ١٩٣٧- ١٩٣٨ كنت مريضا جدا وسافرت إلى باريس للعلاج.

وقبل سفرى مباشرة اتصل بى مارسيل إسرائيل وكان معه مجموعة من حوالى عشرة أشخاص كانوا مجرد برجوازيين صغار. وكنت أنا برجوازيا، والبرجوازية لها عيوب كثيرة لكن بها ميزة مهمة هى اتساع الأفق، وأحسست أنهم مجموعة من ضيقى الأفق مجرد موظفين صغار يعيشون على هامش المجتمع ولا يشعرون بما يدور فيه. وأحسست بالقرف منهم وقررت أن أعمل شيئا وبدأت فعلا فور عودتى من باريس فى ١٩٣٨.

س: وفى باريس ألم تتصل بالحزب الفرنسى؟

ج: لا. فقد كنت مريضا واكتفيت بالعلاج.

س: كيف بدأت العمل؟

ج: فى ١٩٣٨ كونت النادى الديمقراطى وكان هدفه الكفاح ضد الفاشية مسترشدا بخط المؤتمر السابع للكومنترن والذى يدعو لتكوين جبهة شعبية معادية للفاشية وانضم إلينا عدد كبير من الأجانب (إنجليز ويونانيين وايطاليين وسويسريين) ومن المصريين انضم لنا أحمد فؤاد الأهوانى - محمد نصر الدين (مدرس بكلية البوليس) وكان معظم هؤلاء الأجانب من مدرسى اللغتين الفرنسية والإنجليزية بالمدارس الثانوية وكانوا بالتالى محتكين بالمجتمع المصرى وعن طريقهم انضم إلينا الأهوانى وكان فى ذلك الحين مدرسا فى مدرسة ثانوية.

س: كان اتحاد أنصار السلام موجودا فى ذلك الحين فما هو الفارق بينكم وبينهم؟

ج: الفارق أننا كانت لنا علاقات بالمصريين وقررنا الانفتاح على المصريين وهم كانت علاقاتهم بالمصريين قليلة جدا.

س: وماذا عن مارسيل إسرائيل؟

ج: قرر هو ومجموعته أن يعملوا من خلال النادى الديمقراطى لكنهم فشلوا وخرجوا

وكونوا مجموعة «الثقافة والفراغ» وكان معهم أسعد حليم وكان أسعد بالنسبة لمارسيل مظهر التمصير.

س: هل يمكن القول: إنك كنت فى ذلك الحين ماركسيا فعلا؟

ج: أنا كنت أعطف على الماركسية وأؤيد الاتحاد السوفييتى وعندما اشتعلت الحرب طلبت التطوع فى الجيش الفرنسى لأحارب الفاشية ولكن طلبى لم يقبل.

والمسألة التى كانت تحيرتى فعلا هى أننى كنت أكره إنجلترا كرها شديدا بينما يتعين علينا مساندتها ضد الفاشية.

وفى هذه الأثناء اتصل بى مندوب من السفارة البريطانية اسمه فيما أعتقد «مستر جوديون» طالبا أن يعمل النادى معهم عملا موحدا ضد الفاشية وتحدث كثيرا عن أهمية توحيد القوى الديمقراطية ضد الفاشية وضد الشيوعية، لكننا رفضنا التعاون معهم، وقد طرح هذا علينا سؤالا هاما هو هل نتعاون مع الاستعمار ضد الفاشية أم نواجه الاثنين معا..؟

س: كيف سارت الأمور فى النادى الديمقراطى؟

ج: تعمدت منذ البداية ألا أدخل مجلس إدارة النادى وإنما كان فيه أحمد فؤاد الأهوانى لكنه انسحب من مجلس الإدارة بعد أن بدأت مطاردة البوليس لنا. وخلال العمل حدث خلاف بينى أنا وجورج بوانتيه من جانب وبين ٧ أعضاء فى مجلس الإدارة لكننا صممنا على رأينا حتى هزمنا السبعة وكان هذا درسا مفيدا لى هو أن التصميم فى وجه العناصر المترددة سلاح فعال وكان الخلاف يدور أساسا حول هل نصبح شيوعيين أم لا؟.

وعندما انتصرت وجهة نظرنا أعلنا أننا شيوعيون.. لكن ما معنى أن نكون شيوعيين؟ لا أحد يعرف، ما هو الشىء الذى يتعين علينا القيام به؟.. لا أحد يعرف. وقلت: علينا أن ندرس ولكى ندرس يجب أن تكون هناك كتب وهكذا كانت أول خطوة هى العمل على افتتاح مكتبة، وفعلا افتتحت مكتبة الميدان. وكانت تعمل فى المكتبة هنريت آرييه زوجة سام باردل (وهو ضابط إنجليزى عضو فى الحزب الشيوعى الإنجليزى) والحقيقة أنه كان هناك عشرات من الشيوعيين وسط القوات البريطانية لكن سام باردل تمكن من العمل معنا لأنه كان يعمل فى المخازن بالقاهرة.

س: هل كانت هناك أية اتصالات بأحزاب خارجية؟

ج: بالنسبة لى لا.. لكن بول جاكو كان على علاقة سابقة بالحزب الشيوعى السويسرى ومارسيل إسرائيل كان متصلا بالحزب الفلسطينى وجورج بوانتبه كان عضوا بالحزب السويسرى قبل حضوره إلى مصر.. وعندما اقترب الألمان من العلمين أعد الإنجليز قطارا خاصا ليهاجر فيه الأجانب التقدميون إلى فلسطين ورفضنا نحن السفر، وهناك اتصل مارسيل إسرائيل بالحزب الفلسطينى وأجرى معهم مناقشات طويلة.

س: ألم تتصلوا بالحزب الإنجليزى؟

ج: أول علاقة مباشرة كانت عن طريق مدرس إنجليزى يدرس فى السودان، وكان هذا المدرس يحاول تكوين تنظيم شيوعى سودانى. وخلال مروره بالقاهرة قال لى: إنه يجب ربط التنظيم السودانى بالحزب الإنجليزى فرفضت ذلك.

س: عندما شرعتم فى تأسيس ح. م. هل كانت هناك خلافات جدية بينكم وبين المجموعات الأخرى مثل مجموعة بول جاكو دى كومب. ومجموعة الإيسكرا، أو مع مارسيل إسرائيل؟

ج: نعم كانت هناك خلافات مبدئية.. فبالنسبة لجاكو دى كومب نحن كنا نرى أن الخطوة الحاسمة هى التمصير وهو أيضا كان ينادى بالتمصير لكن التمصير عنده كان يعنى مجرد ضم عدد من الأجانب المتمصرين وكان يعوقه الحذر الشديد والمبالغ فيه من جانبه. أما نحن فكنا نرى الانفتاح على المصريين مباشرة وكذلك على النوبيين والسودانيين وعلى أوسع نطاق وكانت فكرتنا عن الأمان مختلفة تماما.

وقد نشطنا فى الأزهر وحققنا نجاحا وضممنا إلى صفوفنا عددا من طلبته وكان معنا أزهرى فى كلية أصول الدين صاغ قوانين الجدل شعرا على طريقة ألفية ابن مالك.. وكنا نختلف مع إيسكرا حول موضوع التقيد بالأخلاقيات، كنا نقول: إن المناضل الشيوعى يجب أن يتقيد بالأخلاق وأن تكون نموذجا فى الالتزام بها بينما إيسكرا أعلنت أن النظام البرجوازى هو الذى فرض هذه الاخلاقيات المزيفة وأن علينا التخلص منها.. وبالنسبة للتمصير.. الحقيقة إن أحدا لم يعترض عليه من حيث المبدأ لكننا نحن وحدنا الذين مارسناه بشجاعة وصعدنا إلى القيادة فورا عناصر مصرية وعمالية.

وكل هذه مسائل أساسية لأنه على ضوئها يمكن أن يتحدد مصير جماهيرية التنظيم واحترام الجماهير له والتفافها حوله.

س: متى ولدت ح. م. (الحركة المصرية للتحرر الوطنى).

ج: تاريخ ميلاد ح. م هو تاريخ انعقاد أول مدرسة للكادر [لم يذكر التاريخ] حيث تجمع فى عزبة والدى ٢٥ من الكوادر الجديدة لحضور أول مدرسة كادر.

كان المدرسون فى المدرسة محمد زكى هاشم - أحمد دمرداش تونى - تحسين المصرى - موسى كاظم وانا. أما الطلبة فكان عددهم ٢٥ من بينهم ٣ أو أربعة من ميكانيكيى الطيران أذكر منهم سيد سليمان رفاعى - يوسف مصطفى - المغربى - واثنين من الأزهريين [لم يذكر اسميهما] واثنين من طلبة الجامعات هما مختار العطار وكمال شعبان أما برنامج الدراسة فكان محاضرات حول تاريخ مصر (على ضوء المادية التاريخية) - جغرافية مصر - المادية الجدلية - الاقتصاد السياسى وكنا قد ترجمنا نشيد الدولية إلى اللغة العربية وكان مطلعه باللغة العربية:

يا بؤساء الدنيا قوموا قوموا يا محرومين م الخير

وكان نظام المدرسة صارما وبروليتاريا حقا، الجميع ينامون على الأرض، يستيقظون فى ساعة محددة لينشدوا عدة أناشيد ثورية بينها نشيد الدولية ثم تبدأ المحاضرات.

وفى المدرسة أعلنا نحن المدرسين للطلبة أنَّا قد نكون أناسا ثوريين لكننا لسنا الأصحاب الحقيقيين للقضية وأنهم أى الطلبة هم الأصحاب الحقيقيون لها.

وأذكر أن أول منشور شيوعى صدر عن ح. م. قد اشترك فى كتابته أربعة أشخاص هم جورج بوانتيه ومحمد نصر الدين ود. فؤاد الأهوانى وأنا وطبع منه أربعة آلاف نسخة وكان ذلك فى عام ١٩٤٢.

ثم أصدرنا بعد ذلك مجلة (حرية الشعوب) وأعددنا كورس محاضرات للأعضاء، كانت أول محاضرة فيه بعنوان «عيوب المجتمع» وكانت تقدم تفسيرا علميا لعيوب المجتمع ومصادرها الحقيقية وأساليب التغلب عليها وكان الهدف هو أن نضرب منذ البداية الاتجاهات الإصلاحية التى كانت تنتشر فى ذلك الحين.

س: ما هى علاقاتكم بالمجموعات الأجنبية التى كانت مقيمة فى مصر؟

ج: كانت مصر فى أيام الحرب مركزا دوليا هاما وكان بها حوالى ١٠ أو ١٥ حكومة بالمنفى وأستطيع أن أقول: إننا حاولنا مساعدة جميع المجموعات الثورية والوطنية.. ساعدنا الألبانيين والأستراليين والإنجليز واتصلنا بمعسكرات الأسرى الإيطاليين وكنا

نهرِّب إليهم نشرات بالإيطالية وكتبا ماركسية لنعزز نفوذ عناصر يسارية كانت موجودة معهم.. وكذلك اتصلنا بمعسكرات الأسرى الألمان وكان د. عبدالفتاح القاضى يكتب نشرات باللغة الألمانية ونرسلها إليهم لتوزع هناك.

وكذلك اتصلنا باليونانيين وكانت الفرقة اليونانية بمصر على خلاف مع قوات الاحتلال وكان يتزعمها شيوعى يونانى اسمه ذيقوليديس وقامت الفرقة بانتفاضة ضد الجيش الإنجليزى؛ لأنهم كانوا يريدون السفر إلى اليونان لتحرير بلدهم بينما الإنجليز كانوا يريدون إرسالهم إلى إيطاليا لإقصائهم بعيدا عن اليونان وحتى يتخلصوا منهم لأنهم شيوعيون.

وقد هاجمتهم الإسكرا بحجة أنهم يعرقلون معركة الحلفاء ضد الفاشية أما نحن فقلنا: إننا لسنا قضاة فى هذا الموضوع وعلى اليونانيين أن يختاروا الموقف الذى يريدون لكن واجبنا أن نساعدهم كرفاق وقد حاصرتهم القوات الإنجليزية فى أحد المبانى بالإسكندرية وجندت ح. م. كل أعضائها بالإسكندرية لمساعدتهم وكنا نهرب لهم الطعام والمياه.. والمعلومات.

س: لماذا أخذتم اسم الحركة المصرية للتحرر الوطنى ولم تعلنوا من البداية تأسيس حزب شيوعى؟

ج: الحقيقة أن الكثيرين طالبوا بذلك لكننا كنا نرى أن إعلان حزب يمكنه أن يعبر حقيقة عن آمال الجماهير المصرية يتطلق وقتا كثيرا وجهدا أكبر وإعدادا سياسيا وماديا ونضاليا لم يكن متوفرا لنا.. كنا فى بداية الطريق ولم يكن من السهل أن نعلن للجماهير أن هذا التكوين الضعيف هو الممثل الفعلى للبروليتارية المصرية.

وهكذا أعلنا أننا حركة للتحرر الوطنى تستهدف تحقيق عدة أهداف من بينها:

١- تكوين حزب شيوعى مصرى.

٢- إصلاح زراعى.

٣- تنظيم الكفاح المشترك مع الشعب السودانى.

س: قامت ح. م. على أساس تنظيم فئوى فهل كان هذا الشكل الصحيح لتنظيم شيوعى؟

ج: نعم قام تنظيمنا فى البداية على أساس أقسام فئوية بعضها قومى مثل قسم الأرمن وقسم النوبيين وقسم السودانيين وبعضها اجتماعى مثل أقسام النساء والطلبة والشباب والعمال.

وقد يتصور البعض أن هذا خطأ لكننى أعتقد أن التنظيم أداة وأن هذه الأداة يجب أن تتشكل بالشكل الملائم..

فقد كنا مبتدئين وكنا بحاجة إلى فهم القضايا الاجتماعية فهما أكثر عمقا ومثلا مشكلات النساء لا يمكن فهمها فى ظل شكل الخلية العادية المشتركة وإنما من خلال تجميع النساء معا، كان يمكن خلق طليعة حقيقية لفئة معينة.

والسبب الثانى الذى دفعنا إلى ذلك هو الأمان فربط النوبيين معا والأرمن معا والطلبة.. إلخ. كان يمكن الكوادر من العمل بسهولة وفى ظل أمان أفضل ويمكنهم من اختيار أفضل العناصر وأكثرها إخلاصا.

ومثلا سنة ١٩٤٧ ووجهنا بمشكلة تنظيم أعضائنا فى كفر الدوار.. فعامل النسيج القادم حديثا من الريف ينشط ويعيش فى ظل مجموعات من البلديات وهذه المجموعة تربط العامل أكثر مما تربطه صالة العمل ولهذا أقمنا الخلايا ليس على أساس قسم العمل وإنما على أساس البلديات، مثلا خلية لأبناء المنوفية وكان هذا الشكل فى القاعدة فقط وكان فعلا مفيدا جدا ويحمى الخلايا من تسلل البوليس.

لكن مثلا فى شبرا الخيمة كان العمال أكثر تقدما ولم تكن مشكلة البلديات حادة مثل كفر الدوار فأقمنا التنظيم على أساس خلية المُصنع.

وفى ح. م. كونا مثلا قسما للأزهر لأننا لو مزجنا المثقف الأزهرى مع المثقف العصرى فى بداية العمل فإن كلا منهما سيشعر بالتناقض. وكان تخصيص قسم للأزهر مسألة مهمة دفعت العمل إلى الأمام وأدى إلى أنه كان لنا قسم شيوعى كبير فى الأزهر تتبعه خلايا فى جميع المعاهد. وقد نجحنا فى الأزهر لأننا نفرض على العقلية الأزهرية تغييرا عنيفا.

س: وماذا عن نشاطكم فى الجيش؟

ج: بدأنا مع عمال سلاح الطيران ووجدنا أنهم خاضعون لنظام عسكرى وليس من الممكن تنظيمهم مع زملاء لا يواجهون نفس الخطر. فأقمنا لهم قسما خاصا، وعلى أية حال كان لدينا فى ح. م صف ضباط فقط وبعد الوحدة قدمت إيسكرا ضابطا هو أحمد حمروش كان قد انضم إليها عن طريق تنظيم القلعة. وبعد ذلك توالى انضمام الضباط. فقد قام حمروش بتأسيس قسم الجيش فى وحدته.

وكان لدينا فى ح. م. تحليل طبقى لفئات الجيش هو:

الجنود – فلاحين.

عمال الجيش – عمال.

صف الضباط – برجوازية صغيرة.

الضباط – برجوازية متوسطة.

الضباط الكبار – برجوازيون مرتبطون بالمصالح العقارية والملكية.

وقد اتصلنا فى ح. م. بعدد من الضباط منهم محمد نجيب وقد اتصلنا به عن طريق أحد أعضائنا النوبيين (صالح عرابى) وقد اتصل بى صالح عرابى وقال: إن ضابطا من أصل سودانى يريد أن يعرف ما هو موقف الشيوعيين من السودان. وكان هذا السؤال فرصة لبحث الموضوع وأعددنا تقريرا مفصلا عن وجهة نظرنا فى المشكلة وأعلنا فيه أننا نرفع شعار الكفاح المشترك مع الشعب السودانى ضد العدو المشترك فى مواجهة شعار نيل واحد وملك واحد.. وبعد اتصالات عديدة مع محمد نجيب شعرنا أنه لم يكن له تكوين سياسى محدد لكنه كان يواصل اتصالاته بالنوادى النوبية – وبما أن النوبيين هم أكثر الفئات فقرا – فإنه كان قريبا من المفهوم الشعبى.

كذلك اتصلنا بصلاح سالم عن طريق الزميل الطيار إبراهيم العطار.

س: ما هى علاقة عبد الفتاح الشرقاوى بالتنظيم؟

ج: كان عضوا فى اللجنة المركزية للحركة المصرية وكان متدينا ويصلى باستمرار. والحقيقة أنه انضم إلينا وهو ضدنا لأننا غير مصريين، لكنه انضم إلينا ليكسب الخبرة ليؤسس تنظيما جديدا. وفعلا انسحب الشرقاوى يوم ٦ أكتوبر ١٩٤٥ معلنا فلشنا ومؤكدا أن البلاد تمر بفترة جذر شديد. كذلك كان أحد أسباب الخلاف هو مسألة الدين فهو لم يكن يكتفى بموقفنا الإيجابى من الدين لكنه كان يفهم الماركسية فهما إسلاميا صرفا.

س: يلفت نظرى أنك حددت يوم ٦ أكتوبر ١٩٤٥ للخلاف حول مسألة المد والجذر فى الثورة المصرية فهل لهذا التاريخ صلة بهذا الخلاف؟

ج: طبعا.. والحقيقة أننا عندما اقتربت الحرب من نهايتها طرحنا السؤال التالى هل ستشهد فترة ما بعد الحرب مدا ثوريا فى مصر أم العكس؟ كنا نحن نقول: إن الفترة القادمة فترة مد وأن المظاهرات الوطنية ستنفجر مطالبة بالاستقلال التام وأن علينا أن نستعد لنلعب دورا أساسيا فى هذه الحركة.

لكن المنظمات الأخرى حللت الموقف بصورة أخرى فقالوا: إن الوفد مطرود من الحكم وإن حكومة أحمد ماهر قررت الدخول فى مفاوضة الإنجليز وإن الرجعية ترى أن معاهدة ١٩٣٦ تضمنت نقصا فى الاستقلال والمطلوب هو مفاوضات لاستكمال هذا النقص.

وكان تقديرنا أن المظاهرات ستنفجر فى ٦ أكتوبر ١٩٤٥ وهو موعد بدء الدراسة فى الجامعة.

وفى ٥ أكتوبر أصدرت ح. م. منشورا إلى جنود الجيش والبوليس تقول لهم فيه: إنهم جزء من القوى الوطنية المعادية للاستعمار ويجب ألا يسمحوا لأنفسهم بأن يستخدموا لضرب مظاهرات الطلبة التى ستندلع غدا..

لكن ٦ أكتوبر يأتى ولم تقم مظاهرات وتهكمت علينا كل المنظمات وثار عبد الفتاح الشرقاوى وقال: أنتم فشلتم وتحليلاتكم خاطئة لكننا قلنا نحن لم نهزم وإنما الذى هزم هو القيادات التقليدية للحركة الوطنية لأنها عجزت عن قيادة الحركة الوطنية فى ظل الشعارات الملائمة، وطرح علينا هذا واجبات جديدة هى العمل على تكوين قيادة وطنية جديدة تقود العمل السياسى والوطنى وبدأنا فى تكوين اللجنة الوطنية للطلبة والعمال.

وطبعا قادت هذه اللجنة إضرابات ومظاهرات ضخمة جدا أكدت صحة تحليلنا السابق.

س: أريد أن تتحدث عن تجربة الوحدة بين ح. م. وإيسكرا؟

ج: كنا دائما نسعى للتوحيد. وكان من شروط الوحدة إبعاد الأجانب، وفعلا كونا قسما للأجانب أبعدنا إليه جميع الأجانب ما عدا أنا وهيلل شوارتز وبهذا تم التمصير بشكل فعلى وحددنا رايات الكفاح الجديدة لنا وهى الديمقراطية والتحرر الوطنى وهكذا أسمينا التنظيم الجديد الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ح. د. ت، ولكننا لم نكن نتصور أن «حدتو» هى الحزب بل كانت خطوة فى سبيل السعى لإقامة الحزب.

وبعد ذلك أعلنا هدف التعميل وتصورنا أنه يمكن إنجاز مهمة التعميل بنفس الأسلوب الذى اتبعناه فى التمصير. وهكذا كونا أقساما غير عمالية ثم قسما للعمال ابتعد عنه كل من هليل وأنا وقلنا إن مهمة قسم العمال ليس مجرد توسيع النشاط وسط العمال وإنما أن يتحول بنفسه ليصبح هو الحزب وكان على رأس القسم أربعة من المصريين: سيد رفاعى – محمد شطا – شهدى عطية – عبد المعبود الجبيلى.

وقد وقعنا فى خطأ كبير فإن عملية التمصير تمت بالتصعيد السريع لعناصر مصرية إلى القيادة وتدريبها وترتيبها من خلال الممارسة نفسها وتصورنا أنه يمكن التعميل بنفس الطريقة؛ أن نصعِّد عمالا بغض النظر عن مستواهم الفكرى إلى صفوف القيادة.. وضعَّدنا إلى القيادة عددا كبيرا من العمال بقصد أن نشعر العمال أنهم الملاك الحقيقيون للتنظيم.

لكن من هم العمال؟ هذا هو السؤال الذى حاولنا أن نجيب عليه. وقلنا: إن التعميل بالمعنى النظرى والثورى هو ضم طلائع العمال فى المراكز العمالية الكبرى.. وهذا يعنى فى ظروف مصر ضم قيادات عمال النسيج وعمال النسيج المصريين كانوا فى ذلك الحين ثوريين لكنهم كانوا بشكل عام غير متعلمين وأدى التصعيد السريع للعمال إلى إضعاف التكوين الفكرى لقيادة التنظيم فى ظروف بدأ التنظيم يتعرض فيها لصعوبات تنظيمية وتواجهه مشكلات نظرية وفكرية خطيرة.

كذلك أعاق عملية التمصير أن المثقفين المصريين فى قيادة التنظيم قالوا: إن المسافة الواسعة بين الأجنبى والمصرى حتمت التمصير لكن هذه المسافة تقل كثيرا فيما بين المثقف والعمال المصريين.. وكان بعض المثقفين يشعرون بالخطر على مراكزهم من التعميل وكان البعض يشعر بمخاطر انخفاض المستوى النظرى للقيادة.. وعلى أية حال أدى هذا الموضوع إلى خلافات عميقة فى قيادة حدتو.

وفى هذه الظروف بدأت الرجعية فى الضغط على الحركة. وأدى الضغط بالضرورة إلى توليد اتجاهات متطرفة يسارا فانقسمت مجموعة م. ش. م واتجاهات متطرفة يمينا مثل مجموعة فوزى جرجس التى رفعت شعار «إحناء الرأس للعاصفة».

ومما أدى أيضا إلى ضعف مواجهة التنظيم للضغط الرجعى أن هذا الضغط وجه إلينا بعد ضم مجموعات ضعيفة من الناحية النضالية (مثل كثير من عناصر إيسكرا).

س: ما هى القصة الحقيقية لزيارة أندريه مارتى لك فى القاهرة وما هى حقيقة علاقتك به؟

ج: زوجتى كانت تعمل مترجمة لدى وفد فرنسا الحرة بالقاهرة. وهناك قابلت مارتى وكان قادما من موسكو، دعته هو وزوجته للإقامة فى شقتنا فقبل على الفور وعندما سألناه فيما بعد عن سر قبوله السريع قال: إنهم حذروه فى موسكو من أن القاهرة مليئة بالجواسيس ولهذا فضل ألا يقيم فى فندق. بدأت معه مناقشات حول الوضع فى مصر.

وأجبرته على أن يقابل قائد المجموعة الشيوعية فى الفرقة اليونانية المسلحة بمصر الرفيق نيقوليديس وكان مارتى مترددا فى إقامة أى اتصال بأى إنسان لكننى أصررت. وبعد ذلك سافر مارتى إلى الجزائر واستمررنا فى إرسال كتب ونشرات إليه. وفى ١٩٤٦ سافرت زوجتى إلى باريس وكانت صديقة لزوجة مارتى فقابلتها ونقلت إليها وجهات نظرنا السياسية لتنقلها إلى الحزب الفرنسى وطلبت منها أن تتصل بجارودى ليكتب مقدمة للترجمة العبرية لكتابه الذى كنا قد قررنا طبعه فى سلسلة الكتب الخضراء وفعلا كتب جارودى مقدمة ممتازة.

وفى ١٩٥٠ عندما طردت من مصر إلى إيطاليا ثم طردت من إيطاليا فسافرت إلى باريس قدمت نفسى للمكتب السياسى للحزب الفرنسى فقالوا لى قابل مارتى فقابلته، وطلب تقريرا عن تطورات الظروف السياسية فى مصر فأعددت له التقرير وبعد ذلك فوجئنا بأن الحزب يطرد مارتى ويتهمه بالجاسوسية فكتبنا تقريرا إلى الحزب الفرنسى أشرنا فيه إلى مقابلتنا السابقة معه وشرحنا وجهة نظرنا فى اتهام مارتى..

وبعد أيام فوجئنا بالأومانيتيه تنشر تقريرا للمكتب السياسى يقول: إن مارتى كان على علاقة باثنين من المصريين مشكوك فيهما وهذا الاثنان هما أنا وزوجتى.

وبعد ذلك كتبت إلى الحزب رسالة قلت فيها: إننا لا نوافق على رأيهم لكننا لن نقول شيئا حتى لا نضعف مركز الحزب فى المعركة مع مارتى..

والحقيقة أن سبب الخلاف بينى وبين الحزب الفرنسى والإيطالى يرجع إلى اختلافى معهم فى المواقف والتحليلات السياسية إزاء مصر. فعندما ألغيت معاهدة ٣٦ قالوا: إن ذلك تعبيرا عن النفوذ الأمريكى ورفضنا هذا التحليل. وعندما قامت ثورة يوليو هاجموها بينما أيدتها أنا.

وهكذا فإن أسباب الخلاف هى فى الأساس أسباب سياسية.

انتهى النقاش

محضر نقاش مع عبده دهب حسنين(*)
تم النقاش فى الخرطوم ١٨/١٠/١٩٦٩

س: كيف بدأت علاقتك بالعمل السياسى فى مصر؟

ج: فى عام ١٩٣٥ بدأت حياتى السياسية وأنا شاب صغير فى وادى حلفا واتصلت بحزب مصر الفتاة وكان له فرع بوادى حلفا لقربها من مصر وللتعبير عن تصميم الحزب على وحدة وادى النيل. ولبست القميص الأخضر.. واستدعانى حاكم البلدة وهو إنجليزى وطلب إلىّ خلع هذا القميص فرفضت. فبدأ فى اضطهادى.. وبعد ذلك غادرت حلفا إلى القاهرة وعملت هناك مع حزب مصر الفتاة. وقد طلب إلى قادة الحزب أن أعمل لدى الإيطاليين (لتعزيز العلاقات بالفاشست) وعملت فعلا- فى حمام سباحة بالهزم- مملوكًا للإيطاليين.

وفى هذه الأثناء كنت متحمسا جدا ضد الإنجليز وشعر بمحاسى إيطالى شيوعى اسمه ماريو كان يعمل فى نفس النادى فسألنى: لماذا أنت متحمس ضد الإنجليز؟ فقلت لأنهم يستعمرون بلادنا، فقال ولماذا تحب إيطاليا؟ فقلت: لكى تخلصنا من الإنجليز.

وضحك ماريو وأخذ يحدثنى طويلا عن فكرة الاستعمار وكيف أن الإيطاليين يحاولون طرد الإنجليز من مصر ليحلوا محلهم.

وبدأ ماريو تدريس الماركسية لى وافهمنى أن الدولة الوحيدة التى يمكن أن تساعدنا مساعدة جدية هى روسيا.

وفى سنة ١٩٣٩ بدأت حملة اعتقالات ضد الإيطاليين وعندما جاء البوليس ليقبض على ماريو قال لى: حاول الاتصال بهنرى كورييل أو مارسيل إسرائيل. لكنه لم يعطنى أية عناوين.. ولم أستطع أن أعثر عليهما.

وكانت الأفكار التى علمنى ماريو إياها تشكل حاجزا بينى وبين مصر الفتاة فبدأت فى الانشقاق عنها وفعلا انقسمت عن مصر الفتاة أنا وعصام عبد المعصى وفهمى عقل وحسن كمال وآخرين مكونين تنظيما جديدا اسمه «كتلة الشباب المصرى» وأصدرنا مجلة اسمها «الجلاء» كان مقرها شارع سليمان باشا.

س: هؤلاء الذين كونوا معك «كتلة الشباب المصرى» هل كانوا جميعا يساريين؟

ج: لا.. أنا وعصام عبد المعطى فقط.

س: وكيف اتصلت بالشيوعيين؟

ج: كنت أشعر أننى بحاجة إلى الثقافة وكنا نبحث فى الصحف عن الإعلانات التى تنشر عن المحاضرات والندوات فى الأندية المختلفة. وذات يوم من أيام عام ١٩٣٩ قرأت عن مناظرة ستجرى فى مقر النادى الديمقراطى بشارع سكة الفضل حول المرأة المصرية والمرأة الأوروبية بين الأستاذين سلامة موسى وزكى مبارك.. وذهبت لحضور هذه المناظرة واشتركت فى نقاش عنيف ضد زكى مبارك. وبعد أن انتهت المناظرة تقدم إلىَّ شخص أجنبى وطلب منى أن أدخل معه أحد المكاتب حيث وجدت بعض الاشخاص. وسألنى هذا الشخص الذى علمت فيما بعد أنه هليل شوارتز. هل أنت عبده دهب؟

فقلت نعم.. فقال: إننا نبحث عنك من زمن طويل.

ودار نقاش حول الأوضاع فى السودان ونظم التعليم هناك لكن النقاش كان محصورا بينى وبين شوارتز، أما الاخرون فلم يشتركوا فيه وكانوا هنرى كورييل وبولا العلايلى ومارسيل إسرائيل.

وعندما كنت أوشك على مغادرة المكتب طلب منى هنرى كورييل موعدا.

وقابلته بعد أيام فى مكتبه بشارع الشواربى. حيث حدثنى طويلا عن رغبته فى تأسيس مجلة تعمل على نشر الوعى فى مصر.

وكلفنى أن أبحث عن مجلة مصرية لاستئجارها حيث يصعب على أشخاص مثلهم الحصول على رخصة مجلة. وفعلا استأجرت مجلة «حرية الشعوب» وكان يصدرها شخص اسمه رجب أحمد وهو شخص عادى جدا لم تكن لديه أية ميول سياسية رغم هذا الاسم الذى أطلقه على مجلته وكان الإيجار المتفق عليه ١٥٠ قرشا شهريا ارتفعت إلى ٢٥٠ بعد أن بدأت مضايقات البوليس.

واحتفظنا باسم المجلة وأضفنا شعارا يقول إنها «مجلة مصرية سودانية عمالية ثقافية».

س: من كان يعمل معك على إصدار هذه المجلة؟

ج: كثيرون جمعهم معى كوربيل مثل سيد قنديل وهو نقابى مشهور ونقابى آخر اسمه زكى أبو الخير ومن السودانيين محيى الدين صابر وعددا آخر من أعضاء النادى الديمقراطى مثل يوسف درويش وايزاك عبود وقد اختيرا لأنهما يجيدان اللغة العربية.

س: هل اكتفيتم بإصدار المجلة؟

ج: لا.. فهنرى كوربيل كان ينظم مع كل منا دراسات للماركسية ويطلب بإلحاح كسب المزيد من العناصر المصرية وفعلا كسبنا معنا أسعد حليم، أنور كامل، مصطفى كامل منيب.

س: كيف تأسس التنظيم؟

ج: واضح أن النادى الديمقراطى كان تجمعا يستهدف خلق حلقات ماركسية بهدف تكوين تنظيم فيما بعد وواضح أنه كان هناك خلاف حول أسلوب البدء.. لكننا لم نكن نعلم أى شىء عن هذا الخلاف وفجأة وجهت لى الدعوة لحضور اجتماع فى منزل شخص عرفت فيما بعد انه جوماتالون وكان الاجتماع ساخنا جدا ودار فيه نقاش حاد. وفى البداية أحسست أننى لا أفهم شيئا وبالتدريج فهمت أن هناك خلافا بين كوربيل وشوارتز.

وقف هنرى كوربيل وفى يده تقرير مكتوب باللغة الفرنسية لكنه كان يترجمه فورا إلى العربية وتحدث طويلا عن أهمية تشكيل تنظيم ليقود معركة التحرر الوطنى وتحدث عن أهمية تمصير هذا التنظيم بحيث تكون غالبية أعضاء اللجان القيادية من المصريين.. وقال إنه يعلم أنه لا توجد كوادر مصرية كافية لكنهم سيتدربون من خلال ممارسة المسئولية.

وتحدث شوارتز فأيد فكرة تأسيس منظمة لكنه عارض فكرة اشتراط أن تكون غالبية المستويات القيادية من المصريين وأذكر أنه قال إن لينين كتب مقالا فى العدد ٣٨ من

«الإيسكرا» قال فيه إنه يمكن لطلائع أجنبيه أن تلعب الدور القيادى فى التنظيم فى بلد متخلف.

وتحدث جورج حنين قائلا: إن وجهة نظر كوريل صحيحة بشرط أن يتم إبعاد كوريل نفسه لأنه أجنبى.

وتحدث كوريل قائلا: بأنه مستعد أن يوجد فى اللجنة المركزية كعضو مرشح بدون صوت وبعد مناقشات حادة انفض الاجتماع دون اتفاق. وبدأت بعده سلسلة من الاتصالات الفردية.

س: هل تذكر أسماء بعض الذين حضروا هذا الاجتماع؟

ج: أذكر البعض: عصام الدين حفنى ناصف - بولا العلايلى - جورج حنين - عبدالفتاح القاضى - وآخرين.

س: ماذا حدث بعد ذلك؟

ج: اتصل بى كوريل. واتصل بى جورج حنين وعصام ناصف يعرضون فكرة تأسيس تنظيم مستقل بعيدا عن كوريل وشوارتز وشعرت أن لديهما ميولا تروتسكية. وناقشنى شوارتز وكان يردد باستمرار روايته عن مقال لينين بالايسكرا حتى أطلقنا عليه تهكما اسم «إيسكرا» وأطلق هذا الاسم على التنظيم الذى أسسه فيما بعد.

وبعد تفكير اخترت أن أعمل مع كوريل، وهكذا شهدت مولد الحركة المصرية للتحرر الوطنى (ح. م. ت. و).

س: هل أفهم من ذلك أنك شاركت فى التأسيس؟

ج: نعم.. كنت أحد أعضاء أول لجنة مركزية..

س: هل تذكر أسماء بعض من كانوا معك فى اللجنة المركزية؟

ج: أذكر تحسين المصرى - د. عبد الفتاح القاضى - محمود كامل - د. زكى هاشم - أحمد الدمرداش تونى - هنرى كوريل - أسعد حليم - أسماء البقلى.

س: وماذا فعل الآخرون؟

ج: شوارتز كون «الإيسكرا» ومارسيل إسرائيل كون «الخبز والحرية».

س: هل يمكن أن تسرد لى بايجاز تطورات نشاط ح. م فى الفترة الأولى من تأسيسها؟

ج: فى البداية بدأنا عملية تجنيد واسعة واتصالات على نطاق كبير وبعد سنة تقريبا رفع كورييل شعار «التعميل» ومؤداه أن تصعّد إلى اللجان القيادية عناصر عمالية وكان لنا نشاط واسع وسط ميكانيكيى السلاح الجوى ووسط عمال النسيج فصعد إلى القيادة سيد سليمان رفاعى وفؤاد حبشى (من السلاح الجوى) ومحمد محمد شطا (النسيج) والحقيقة أن سيد رفاعى وفؤاد حبشى قد استطاعا أن يؤسسا تنظيما قويا جدا داخل سلاح الطيران وبالذات وسط خريجى مدرسة ميكانيكا الطيران.

وبعد مدة امتد نشاطنا وسط اتحاد خريجى المدارس الصناعية وأذكر من بينهم يوسف بدير محمد على.

ومن خلال هذه التجمعات الكبيرة أمكن توسيع نشاطنا إلى حد كبير.

س: هل كنتم تصدرون مجلة فى ذلك الحين؟

ج: نعم استمرت مجلة حرية الشعوب لسانا لنا وكنت أنا المسئول عن المجلة وعن تحريرها. وعندما سافرت فيما بعد إلى السودان بتكليف من التنظيم تولت أسماء البقلى مسئولية المجلة لكنها حولتها إلى مجلة نسائية الأمر الذى أثار انتقادات كثيرة.

س: كيف تطورت علاقاتكم بإيسكرا؟

ج: فى البداية لم نكن نشعر بالتناقض معهم. ولكن مع امتداد نشاط كلا التنظيمين فى مجالات عديدة الجامعة - الحركة العمالية وغيرها بدأ الاحتكاك بين قواعد التنظيمين.

س: هل كانت لكم علاقات بأحزاب أجنبية أو عناصر منضمة لهذه الأحزاب؟

ج: كان هناك ضباط وجنود شيوعيون فى قوات الاحتلال. لكنهم لم ينضموا للتنظيم وكانوا يتصلون بكورييل شخصيا. وأعرف أنهم قدموا لنا مساعدات كثيرة.

س: متى بدأتم فى جذب عناصر سودانية إلى الحركة؟

ج: أذكر أنه فى عام ١٩٤٣ كلفنى التنظيم بالاهتمام بتجنيد عناصر سودانية. وبعد ذلك كلفت بالسفر إلى السودان للاتصال بمجموعة شيوعية سمعنا أنها موجودة هناك.

وفى ١٩٤٣ وصلت إلى الخرطوم وقابلت أحد مؤسسى هذه المجموعة وهو ضابط إنجليزى اسمه «استورى» وقد تحدث معى طويلا عن صعوبة العمل وسط السودانيين خاصة وأنه ضابط فى قوات الاحتلال. وقال إنه رغم ما بذل من جهود لم يستطع أن يجند سوى شخصين فقط هما أحمد زين العابدين (طالب فى كلية غوردون وأصبح فيما بعد وزيرا) وحسن الطاهر زروق (مدرس).

وبقيت فى الخرطوم شهرين استدلعت خلالهما أن أتصل ببعض قراء مجلتنا «حرية الشعوب».

وقبل أن أغادر الخرطوم دعانى إلى منزله مهندس اسمه حسن أبو جبل وهناك وجدت ما يقرب من عشرين شخصا وطلبوا إلى أن أتحدث معهم عن الماركسية وبعد حديث طويل أعلن حسن أبو جبل اقتناعه وضممته إلى زين العابدين وزروق.

وأذكر أنه خلال مناقشاتى مع «استورى» قال لى انه يعلم أننا قد جندنا فى القاهرة عددا من الطلاب السودانيين وطالب بضمهم إلى مجموعته التى يزمع أن يلحقها بنشاط الحزب الشيوعى الإنجليزى.

وعند عودتى عرضت ذلك على اللجنة المركزية وعارض كوريل بشدة وأثبت فى محضر الاجتماع أن السودانيين الشيوعيين الموجودين بمصر هم جزء من الحركة المصرية وأن علينا أن نسرع بتكوين قسم مستقل لهم يعمل وسط السودانيين فى مصر تمهيدا لتأسيس تنظيم مستقل فى السودان. وفعلا تكون هذا القسم سريعا وكان اسمه الحركى «شركة الملح والصودا».

س: هل تذكر أسماء الأعضاء الأول فى هذا القسم؟

ج: د.عبدالوهاب زين العابدين - محمد أمين حسين - عبد الرحيم فودة - د. عز الدين على عامر وعبد الماجد أبو حسبو - حسن إسماعيل.

س: من كان مسئول القسم السودانى؟

ج: الحقيقة أن لجنتنا المركزية اتخذت قرارا بأن تضم إلى صفوفها باستمرار اثنين يمثلان القسم السودانى وأول اثنين كنا أنا وعبد الماجد أبو حسبو. وكنت أنا لفترة مسئولا عن القسم السودانى.

س: متى بدأ الاستقلال الفعلى للتنظيم فى السودان؟

ج: فى ١٩٤٥ وصل إلى مصر شخصان موفدان من قبل د. عبد الوهاب زين العابدين وهما حسن الطاهر زروق والمهندس عبد الحميد أبو القاسم.

وعقد اجتماع ضم قادة القسم السودانى بالقاهرة ومندوبى الخرطوم وعددا من المصريين منهم كوريل ود. عبد الفتاح القاضى وتحسين المصرى. وكان الاجتماع فى منزل كوريل.

وقدم المندوبات تقريرا يطالبان فيه بتشكيل تنظيم مستقل له قيادة مستقلة ووافق المجتمعون على ذلك.

واتفق على أن يستمر السودانيون المقيمون فى القاهرة أعضاء فى ح. م. واتفق على أنه فى حالة عودتهم إلى السودان ينضمون إلى التنظيم هناك فى نفس المستوى الذى كانوا يعملون فيه فى القاهرة.

واتفق أيضا على أنه فى حالة انتقال أى سودانى للإقامة فى مصر ولو بصفة مؤقتة ينضم إلى المستوى المقابل فى ح. م.

واتفق على تسمية التنظيم السودانى الحركة السودانية للتحرر الوطنى (ح.س.ت.و).

س: هل كان للتنظيمات الأخرى نشاط وسط السودانيين؟

ج: لا أعتقد.. وأذكر أن شوارتز عندما أحس بنشاط القسم السودانى وبتأسيس حستو تقدم إلى ح. م. بطلب رسمى متضمن السماح للسودانيين بالعمل لفترة مع المنظمات المختلفة حتى يكتسبوا خبرات متنوعة.. ولكن طلبه رفض.

س: سمعت أنك كنت على علاقة بتأسيس القسم النوبى فى ح. م. فهل هذا صحيح؟

ج: ساعدنى على الارتباط بالنوبيين أننى نوبى سودانى وقد اتصلت بعدد من النوبيين منهم محمد خليل قاسم وشخص آخر اسمه شريف. وعن طريقهما اتسع النشاط جدا وسط النوبيين وتكون قسم ضخم وساعد على ذلك ترابط النوبيين والأزمة التى كانوا يعيشون فيها عقب التهجير.

س: هل كانت هناك أقسام أخرى فى ح. م.؟

ج: كان هناك قسم الأرمن. لكن لا علاقة لى به.

س: هل كان لكم نشاط وسط عناصر أجنبية أخرى؟

ج: كنا نسعى دوما للبحث عن عناصر تساعد على امتداد النشاط الماركسى إلى أى مكان فى العالم.

وأذكر أنه خلال علاقتى بالطلبة السودانيين فى مدرسة حلوان تعرفت فى ١٩٤١ بشاب حبشى متحمس اسمه «ملاس بوجوتى» وبدأت فى المناقشة معه ولما علم كوريل طلب إلىّ الاهتمام به.

وأصبح بوجوتى عضوا فى ح. م. وكنا نطالبه باستمرار بالتركيز على دراسة مشكلات بلاده، وتقديم أبحاث عنها. وفى ١٩٤٣ أتم دراسته الثانوية وقرر الالتحاق بالجامعة. لكن

كوربيل اجتمع به وأقنعه بأهمية السفر إلى الحبشة لتأسيس تنظيم ماركسى هناك. وأذكر أننا قدمنا له مساعدات كثيرة جدا يسافر بوجوتى وظل يراسلنا لفترة طويلة ويرسل لنا تقارير عن تطورات نشاطه وكنا طو ل هذه المدة نقدم له كل ما يطلب من مساعدات مالية وكتب وغيرها.

وبوجوتى هو الآن أحد قادة الحزب الشيوعى فى الحبشة.

وأذكر أيضا أننا اتصلنا ببعض الطلاب اليمنيين وبعض اليمنيين الذين وصلوا للتدريب فى مصلحة البريد وحاولنا تجنيد بعضهم وأعطينا لهم كميات كبيرة من النشرات والكتب قبل سفرهم.

س: ما هى قصة تأسيس مجلة أم درمان؟

ج: كان هناك صراع بين شعارين شعار يرفعه الشيوعيون «الكفاح المشترك – مع حق تقرير المصير» وشعار الأحزاب الأخرى «وحدة وادى النيل تحت التاج المصرى» وكان يؤيده من السودانيين فى القاهرة على البرير.

وعلمنا أن القصر الملكى سيصدر مجلة اسمها السودان وسيرأس تحريرها على البرير للدعوة لشعار وحدة وادى النيل تحت التاج المصرى.

فأسرعنا بإصدار مجلة لنا..

وفى البداية طلبنا ترخيصا لمجلة باسم «مجلة الكفاح المشترك» ورفضت وزارة الداخلية فقدمنا طلبا آخر لمجلة باسم «أم درمان» ورفض طلبنا أيضا.

لكن أحمد الدمرداش التونى وهو زوج ابنة محمد محمود جلال استطاع أن يقنع صهره الذى كان نائبا فى البرلمان بأن هذه المجلة ستحمل لواء الدعوة لمبادئ الحزب الوطنى وتقدم النائب محمد محمود جلال بضمانة للمجلة أمام السلطات.

وبناء على وساطة محمد محمود جلال استقبلنى رئيس الوزراء حسن باشا صبرى فى كلوب محمد على وأبلغنى أنهم سيعطوننا ترخيص المجلة وضحك وقال وإن كنت أعتقد أن اسمها الحقيقى سيكون «موسكو» وليس «أم درمان» وصدر الامتياز باسم محمد أمين حسين لأنه كان أكبرنا سنا، وكنت أنا رئيس التحرير وقد لعبت الجريدة دورا كبيرا ضايق السراى. إلى حد أن أحد سكرتيرى الملك وهو حسن بك حسنى اتصل بى وعرض على ٢٠٠٠ جنيه مقابل أن أغلق المجلة وأن أسافر إلى السودان. فلما رفضت هددنى بالقتل.

وطلبت عقد اجتماع عاجل للجنة المركزية وعرضت عليهم الأمر وقررنا أن نتحدى هذا التهديد.

س: هل لعبت ام درمان دورا فى السودان؟

ج: لعبت دورا كبيرا جدا. وقد صادرتها سلطات الاحتلال ومنعتها من الدخول إلى السودان لكنها كانت تهرب ليباع العدد الواحد بخمسة وعشرين قرشا.

وفيما بعد قالت إحدى الصحف السودانية وهى «الرأى العام» إن أم درمان كانت حاملة لواء طرد الاستعمار من السودان.

س: ما هو رقم توزيع أم درمان؟

ج: فى البداية كنا نوزع ٣٠٠٠ نسخة ثم ارتفع الرقم فى ١٩٤٦ وعندما صادرها صدقى كانت توزع ٨٠٠٠ نسخة وكان معظم التوزيع يتم بواسطة الأعضاء والعاطفين.

س: ارتبط اسمك أيضا بمجلة الجماهير فما قصتها؟

ج: الجماهير كانت أصلا مجلة إيسكرا قبل أن نتحد معهم. وعندما اتحدنا فى الحركة الديمقراطية كان الاتفاق أن يكون المسئول السياسى والتنظيمى فى جميع المستويات من ح. م. ومسئول الدعاية ومسئول العمل الجماهيرى من إيسكرا.

ونتيجة للوحدة صار ضمنى إلى «الجماهير» كمسئول سياسى لكن شهدى عطية المسئول السياسى للمجلة أيام إيسكرا لم يقبل هذا الوضع. وبعد صراع اتفق على أن تشرف ل. م. مباشرة على المجلة وقد بلغ توزيع الجماهير ١٢ ألفا.

س: كم كان عدد أعضاء ح. م.؟

ج: عند الوحدة مع إيسكرا قمنا بحصر للأعضاء وبلغ عددهم ١٨٠٠ عضو..

انتهى النقاش

(*) عبده دهب حسنين: سودانى من وادى حلفا قضى فترة طويلة من حياته (١٩٣٥- ١٩٥٠) بالقاهرة وكان من أوائل الذين انضموا إلى النادى الديمقراطى ثم إلى «الحركة المصرية للتحرر الوطنى». لعب دورا كبيرا فى تأسيس الحركة السودانية للتحرر الوطنى. عندما عاد إلى السودان مارس نشاطه لفترة من الوقت ثم ابتعد عن التنظيم بسبب بعض الخلافات. ويعمل الآن بالتجارة. يحتفظ بمذكرات يومية عن نشاطه وذاكرته قوية. من مواليد ١٩١٧.

المراجع

مراجع عربية ومترجمة

- أمين عز الدين - المنصورى سيرة مثقف ثورى.
- إسماعيل مظهر - الاشتراكية.
- السيد محمد عفيفى البقلى - فؤاد الثمرات الأحمدية فى المباحث الاقتصادية والسياسية.
- آثار الزعيم سعد زغلول - عهد وزارة الشعب - جمعها ورتبها محمد إبراهيم الحريرى.
- أحمد الصاوى محمد - ما قل ودل - الجزء الأول.
- أحمد شفيق باشا - حوليات مصر السياسية - الأجزاء، ٣، ٤، ٥.
- أمين عز الدين - شخصيات ومراحل عمالية.
- اليد القوية - خطب وأحاديث حضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا.
- إلياس مرقص - تاريخ الأحزاب الشيوعية فى الوطن العربى - ١٩٦٤.
- إلياس مرقص - الأمية الشيوعية والثورة العربية.
- د. رفعت السعيد - عصام الدين حفنى ناصف - سلسلة طلائع الفكر الاشتراكى.
- د. رفعت السعيد - نقولا الحداد - سلسلة طلائع الفكر الاشتراكى.
- رؤوف عباس - الحركة العمالية فى مصر.
- سمير غريب - السيريالية فى مصر.
- صالح على عيسى السودانى - الأسرار السياسية لأبطال الثورة المصرية، وآراء الدكتور محجوب ثابت.
- صديق رسول القادرى - الميجر جنرال - مذكرات القادرى - ترجمة القاسم العلوى.
- عبد المنعم الغزالى - تاريخ الحركة النقابية المصرية.

- عبد العظيم رمضان - تطور الحركة الوطنية فى مصر.
- عبد الوهاب بكر - أضواء على النشاط الشيوعى ١٩٢١- ١٩٥٠.
- محمود طاهر العربى - هذا المجتمع الظالم.
- د. محمود متولى - مصر وقضايا الاغتيالات السياسية.
- محمد صديق عنتر (مترجم) - البادئ الاشتراكية.
- محمود حسنى العرابى - ٨٩ شهرا فى المنفى.
- محمود حسنى العرابى - مقالات العرابى - عنى بجمعها وتبويبها ونشرها إلهامى أمين.
- محمود عزمى - خبايا سياسية.
- مريت بطرس غالى - سياسة الند.
- قلينى فهمى باشا - آراء وذكريات فى السياسة والاقتصاد والاجتماع.
- قسطاكى إلياس عطاره - تاريخ تكوين الصحف المصرية.
- والتر لاكور - الاتحاد السوفييتى والشرق الأوسط.

مراجع أجنبية

- Alexandrian - Georges Henien.
- Agwani - Gommunism in The Arab East.
- History of The Communist Party of The Soviet Union-Scond Revised Edition - Moscow.
- Ivor Spector - The Soviet Union And The Muslim World 1917- 1956.
- Walter Laqueur - Communism And Nationalism in The Middle East.
- Zaki Badwi - Les Problemes du Tiavail et Les Organisations Ovriers.

تقارير ووثائق ومخطوطات غير منشورة

- محفوظات دار الوثائق القومية.
- تقارير البوليس السرى المصرى إلى وزارة الداخلية المصرية (مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية - المتحف البريطانى - لندن).
- التقارير السنوية للسفارة البريطانية بالقاهرة إلى وزارة الخارجية البريطانية (المتحف البريطانى - لندن).
- تقارير مرسلة من السفارة الفرنسية إلى وزارة الخارجية الفرنسية - مودعة بأرشيف وزارة الخارجية الفرنسية.
- قرار الاتهام فى قضية الشيوعية - الجناية رقم ٨٢٧ شبرا لسنة ١٩٢٥.
- مرسوم ملكى بإسقاط الجنسية المصرية عن ثمانية من المصريين.
- ملف القضية رقم ٣٤٤ كلى سنة ١٩٣١ - محكمة جنايات الإسكندرية دور يوليو.
- مضابط مجلس النواب المصرى عام (١٩٢٦- ١٩٢٧).
- الدستور - تعليقات على مواده بالأعمال التحضيرية والمناقشات البرلمانية.
إصدار مجلس الشيوخ أربعة أجزاء - مطبعة مصر - ١٩٤٠.
- المرسوم بقانون بتعديل قانون الجنسية، عام ١٩٣١.
- عايدة إبراهيم نصير - الكتب العربية التى صدرت فى مصر بين عامى ١٩٢٦ - ١٩٤٠ - رسالة ماجستير (غير منشورة).
- سبانو - تقارير عن زيارته لمصر عام ١٩٣٥ - (أرشيف اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الإيطالى - روما، باللغة الإيطالية). (غير منشور).
- مارسيل إسرائيل - بدايات الحركة العمالية فى مصر - باللغة الفرنسية (غير منشور).
- هانز بياشر - حول الدور التاريخى للكومنترن - بحث مقدم للندوة العالمية التى عقدت بموسكو بمناسبة الذكرى الخمسين لتأسيس الكومنترن - باللغة الألمانية (غير منشور).
- بروتوكول المؤتمر السادس للكومنترن - الطبعة الألمانية.
- الدولية الشيوعية قبل المؤتمر السابع - تقرير بالألمانية.

- د. محمد أنيس - الحركة الوطنية فى مواجهة الاستعمار الأوروبى - سلسلة محاضرات المعهد العالى للدراسات الاشتراكية (غير منشور).

دوريات عربية:

اتحاد العمال

الاتحاد

التطور

الأحرار الدستوريين

الأخبار (جريدة الحزب الوطنى)

الأخبار (الحالية).

ألف - باء (اللبنانية).

الفن والحرية (مطبوعة بالرونيو)

الإذاعة والتليفزيون

الأمل

الأهرام

البلاغ

التطور

الجهاد

روح العصر

الرقيب

روزا اليوسف

السياسة (الأسبوعية)

شبرا

العمال (١٩٢٤- ١٩٢٥)

العصور

الفلاح الاقتصادى

كوكب الشرق

الكشكول
كل شيء والدنيا
اللطائف المصورة
اللواء
الطليعة
المجلة
المجلة الجديدة
المقتطف
المصرى
المصور
الهلال

دوريات أجنبية

Uneffor
The communist International
The Egyptian Gazette
International Press Correspondener
The Labor Monthly
Savoir Vivre
Les Humbles
Don Quichotte
Revolyutsionnyi Vostok (باللغة الروسية)